iranpost
iranpostorg
bit.ly/Iranpost

إيران والإخوان 80 عاما من التحالفات

إيران بوست

ضد المشروع الفارسي
للهَـيمَـنة والتشـيُع

إيران والإخوان
80 عاما
من التحالفات

نوفمبر «تشرين الثاني» 2019

+2 010 150 390 40
iranpost.org@gmail.com
www.iranpost.org

iranpost
iranpostOrg
bit.ly/Iranpost

حقوق النشر محفوظة،
ولا يجوز الاقتباس دون الإشارة للمصدر

المحتويات

- إيران والإخوان.. 80 عاما من التحالفات 5
- إيران و«الإخوان» 11
- الجذور الآيديولوجية للشراكة 11
- الإخوان المسلمون وإدخال التمدد الشيعي إلى تونس... راشد الغنوشي نموذجا 25

إيران والإخوان.. 80 عاما من التحالفات

كشفت ٧٠٠ وثيقة من أرشيف الاستخبارات الإيرانية السرية، حصل عليها موقع The Intercept ونشرها بالتزامن مع صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية، مؤخرا، عن فصل جديد من فصول العلاقة التاريخية بين إيران وجماعة «الإخوان» الإرهابية.

وكشفت إحدى الوثائق المسربة عن «قمة سرية» تم عقدها في أحد فنادق تركيا عام 2014، بعد عدة أشهر من عزل محمد مرسي، وبرعاية تركية، بين قيادات «الإخوان» ومسؤولين من «الحرس الثوري» الإيراني.

ويقول الموقع إن تركيا كانت تعتبر مكانا آمنا لعقد القمة، فهي واحدة من الدول القليلة التي تربطها علاقات جيدة مع كل من إيران والإخوان في ذات الوقت.

حضر الاجتماع وفد رفيع المستوى من «فيلق القدس» بقيادة أحد من نواب الجنرال الدموي قاسم سليماني، عرف في الوثيقة باسم «أبو حسين»، فيما حضره من جانب «الإخوان» ثلاثة من أبرز قياداتها المصرية في المنفى، وهم نائب المرشد العام والأمين العام للتنظيم الدولي إبراهيم منير، ومحمود الإبياري، ويوسف ندا.

وأشار وفد «الإخوان» إلى أن هناك بعض الخلافات بين إيران والإخوان، لكنه أكد أنه «ينبغي التركيز على أرضية مشتركة للتعاون، وأن العدو «المشترك لكل منهما هو كراهيتهما للسعودية»، وفق الوثيقة.

وبحث الطرفان آفاق التعاون المشترك ما بين جماعة «الحوثي» الانقلابية اليمنية، وأعضاء جماعة الإخوان من «حزب الإصلاح» في اليمن لتقليل الصراع بينهما، وإدارته ناحية السعودية.

وبعد تسريب الوثائق، اعترف إبراهيم منير، نائب مرشد جماعة الإخوان الإرهابية، بأن ما نشره موقع The Intercept صحيح، وأن اللقاء حدث بالفعل عام 2014 في تركيا.

وأضاف منير أن «اللقاء كان فرصة لتوضيح رؤيتنا ووجهة نظرنا للمسؤولين الإيرانيين فيما يجري في المنطقة آنذاك، وخصوصاً ما يحدث في سوريا والعراق واليمن، لأن إيران بالتأكيد لها تأثير في السياسات بهذه الدول».

الخميني يزور البنا

يقول الكاتب ثروت الخرباوي، القيادي المنشق عن تنظيم الإخوان، في كتاباته، إن علاقة الجماعة مع إيران عمرها نحو 80 عاما، حيث بدأت عام 1938، حينما قام «الخميني» بزيارة سرية إلى المقر العام لجماعة الإخوان، وتشير هذه الورقة إلى لقاء خاص تمّ بين حسن البنا المرشد الأول للجماعة، والخميني،

مفجر الثورة الإيرانية.

وفي عام 1945، عقد نواب صفوي، أحد متشددي التيار الديني الشيعي في إيران ومؤسس حركة «فدائيان إسلام» اجتماعا مع سيد قطب، مفكر الجماعة. وقد مثّلت تلك الزيارة التي قام بها صفوي إلى القاهرة، دليلاً على مدى التقارب بين الجماعتين.

وبعد ذلك بثلاث سنوات، أي في عام 1948، قام حسن البنا، مؤسس تنظيم الإخوان الإرهابي، بتأسيس جمعية التقارب بين المذاهب الإسلامية، وكانت تلك دعوة صريحة للتقارب بين الجماعات الإسلامية بغض النظر عن توجهاتها المذهبية.

وبدأت العلاقة الحقيقية والممتدة بين الإخوان ونظام الملالي الحاكم في إيران بعد قيام ثورة عام 1979، وذلك في أعقاب إعلان إيران رسميا «دولة إسلامية»، وهو ما تنادي به أدبيات «الإخوان» السياسية، في الظاهر.

ومن فرط سعادة «الإخوان» بوصول الخميني إلى سدة الحكم في طهران، وضع التنظيم على صدر مجلة «الدعوة» الناطقة باسمه آنذاك، صورة تعبر عن انقشاع عهد الشاه، وقدوم الخميني الذي ظهر على غلاف المجلة بوجه بشوش سمح يمثل «سماحة الإسلام» بينما يحترق الشاه متحولاً إلى رماد.

وكانت تلك اللحظات فارقة في توثيق العلاقات الحميمية بين المنهجين الإرهابيين؛ الإخوان وولاية الفقيه، وتاريخ التلاقي والتفاهم والتقارب والتعاطف الذي جمع التنظيمين الإرهابيين على مدى عقود مضت.

وفور نجاح الثورة، رتب يوسف ندا، المفوض العام للعلاقات الخارجية في جماعة الإخوان، دعوة عدد من الحركات الإسلامية السنية لزيارة «الخميني» على متن طائرة خاصة لتهنئته بنجاح الثورة، ووضع أسس العمل المشترك معه، وضم الوفد ممثلين عن حزب السلامة التركي، والجماعة الإسلامية في الهند وباكستان وغيرهم من جماعات الإسلام السياسي السنية، التابعة لـ«الإخوان» أيديولوجياً، والتي تمثل جميعها قوام «التنظيم الدولي للإخوان».

وكدليل على مدى تأصل العلاقة الفكرية بين الملالي والإخوان، تمت ترجمة جميع كتب ومؤلفات سيد قطب، إلى اللغة الفارسية، وتحولت هذه المؤلفات إلى مقررات تُدرس في الجامعات الإيرانية بأمر من المرشد الإيراني علي خامنئي، الذي جاء خلفاً للخميني، والذي كان معجباً بأفكار سيد قطب، ووجد أنها تخدم مشروع تصدير الثورة الإيرانية، فأمر بترجمتها وتدريسها.

وشهد عام 1979 تأسيس «جماعة الدعوة والإصلاح في إيران» وهي جماعة سنية، تمثل التنظيم الدولي للإخوان في إيران. جاء على أساس توافق إيراني إخواني، إذ تأسست على يد ناصر سبحاني، المرشد الروحي لإخوان إيران، أحد كبار مؤسسي جماعة الدعوة والإصلاح.

وارتبط ملالي إيران منذ ذلك الحين بعلاقات مصلحة وثيقة مع جماعة

قيادي منشق عن تنظيم الإخوان يكشف: علاقة الجماعة مع إيران بدأت عام 1938

«الإخوان» في مصر والعالم العربي، ومع غيرها من التنظيمات المرتبطة بالجماعة الإرهابية في المنطقة، وعلى رأسها حركة «حماس» في قطاع غزة، فضلا عن الجماعات الشيعية المرتبطة بالنظام الإيراني، وعلى رأسها «حزب الله» اللبناني.

وعند وفاة الخميني في يونيو 1989، أصدر المرشد العام للجماعة الإرهابية وقتها حامد أبو النصر، نعياً جاء فيه أن «الإخوان المسلمين يحتسبون عند الله فقيد الإسلام الإمام الخميني، القائد الذي فجّر الثورة الإسلامية ضد الطغاة».

وكتب عمر التلمساني، المرشد العام الثالث للإخوان، مقالاً في العدد 105 من مجلة «الدعوة» في يوليو 1985 تحت عنوان «شيعة وسنّة قال فيه: إنّ «التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن، وبعيداً عن كل الخلافات السياسية بين الشيعة وغيرهم، فما يزال الإخوان المسلمون حريصين كل الحرص على أن

مرشد الجماعة الإرهابية الأسبق يصف الخميني بـ«القائد الذي فجّر الثورة الإسلامية ضد الطغاة»

يقوم شيء من التقارب المحسوس بين المذاهب المختلفة في صفوف المسلمين».

وتعددت اللقاءات، بعد ذلك، بين الإيرانيين وقيادات الجماعة الإرهابية تحت مسميات متعددة، كان أبرزها مسمى «التقريب بين المذاهب» وعقدت اجتماعات ومؤتمرات تحت هذا المسمى في طهران، ومدن أوروبية منها لندن وإسطنبول، وحضرها مقربون من المرشد الأعلى للثورة الإيرانية وقيادات التنظيم الدولي للجماعة، ومنها مؤتمر عقد في لندن خلال العام 2009، وقبلها كانت هناك اتصالات ومشاورات مستمرة بين الطرفين للتنسيق حول بعض القضايا.

نجاد في القاهرة

تُوجت تلك العلاقة التاريخية بين الطرفين، بزيارة رسمية قام بها الرئيس الإيراني الأسبق محمود أحمدي نجاد إلى مصر في فبراير 2013، خلال فترة حكم الإخوان، ليكون بذلك أول رئيس إيراني يزور القاهرة منذ اندلاع الثورة على الشاه.

وسبقت زيارة نجاد التي وصفت بـ«التاريخية» للقاهرة، زيارة للرئيس المصري المعزول إلى طهران في أغسطس 2012، الأمر الذي أكد بجلاء حجم العلاقة بين «الإخوان» والملالي.

وفي يوليو «حزيران» 2017، عقد لقاء في العاصمة البريطانية لندن ضم إبراهيم منير، الأمين العام للتنظيم الدولي للإخوان، وعددا من القيادات المقربة من مرشد الثورة الإيرانية على رأسهم محسن الآراكي، أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب. كما عُقد لقاء آخر في أغسطس «آب» الماضي.

وعلى الرغم من نفي الجماعة أن يكون هذا اللقاء عُقد بغية التنسيق مع إيران، إلا أن اللقاءات كانت تستهدف التنسيق والتشاور حول ملفات المنطقة، وتقديم دعم إخواني لإيران في العراق وسوريا واليمن، مقابل دعم إيراني للجماعة في حربها الإرهابية ضد مصر.

المجمع العالمي لتقريب المذاهب
ستــــار التحــالف بيـــن إيـــران والإخـــوان
تاريخ التأسيس
1990
الإخوان المسلمون
وأعدوا
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
الهدف المعلن
التقريب بين المذاهب الإسلامية
الهدف الحقيقي
دعم التحالف مع الإخوان الإرهابية لاختراق دول المنطقة
الإخواني
يوسف ندا
منســق العلاقات بين الإخوان ونظام طهران
الإخواني
إبراهيم منير تولى
من بعده مسؤولية التنسيق مع إيران

إيران و«الإخوان»: الجذور الآيديولوجية للشراكة

خلال الأسبوع الماضي (مايو ٢٠١٤)، أصدر آية الله ناصر مكارم الشيرازي، أحد رجال الدين الخمسة الذين عينتهم الجمهورية الإسلامية كسلطة دينية في «قم»، بيانا يدين فيه ما أطلق عليه «الإجراءات الإجرامية التي اتخذتها السلطات المصرية ضد جماعة الإخوان المسلمين في مصر». كما انتقد «الصمت المخزي لوسائلنا الإعلامية وعلمائنا بشأن القضية». وأعرب عن أمله أن تصبح مصر في يوم ما مثل «إيران الإسلامية»، كما نفى آية الله الرؤية التقليدية حول الخميني باعتباره ممثلا للرؤية الشيعية للإسلام الراديكالي التي لا يمكنها تكوين تحالف مع الرؤية العربية السنية التي تدعو لها جماعة الإخوان المسلمين.

وفي هذه السلسلة الجديدة من المقالات، يشير أمير طاهري إلى أن الخمينية والإخوانية لديهما تاريخ طويل من التواصل والتعاون الذي كان يتجاوز الانقسامات الطائفية، وأنهما ربما ما زالا يحاولان البحث عن دور يلعبانه في إعادة تشكيل توازن القوى في الشرق الأوسط وما بعده.

في يوم صيفي حار من عام 2014، كانت طهران تعج بالأحاديث حول تلك «اللحظة التاريخية» الوشيكة، التي من المنتظر أن تقع في قاعة المؤتمرات الجديدة التي تم إنشاؤها لاستضافة قمة حركة عدم الانحياز التي من المزمع أن تسلم فيها مصر زعامة القمة للجمهورية الإسلامية. وكان كل من علي خامنئي، والرئيس المصري المنتخب في ذلك الوقت محمد مرسي، يشار لهما بالبنان باعتبارهما صانعي تلك «اللحظة التاريخية». وكان من المفترض أن يمثل الرجلان انتصارا للإسلام الراديكالي بنسخه المختلفة من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي.

وقد اتضح حرص طهران على ذلك اللقاء من خلال الحملات الإعلامية المنظمة التي كانت تمتدح الرئيس المصري إلى الحد الذي يتجاوز المادحين المحترفين. وربما يكون الأكثر أهمية من ذلك هو أن القيادة الخمينية في طهران كانت تشعر بأنه حان الوقت لكي تحصل على المكاسب من الاستثمارات السياسية والدعائية، وربما المالية، التي قدمتها لكي تضمن فوز مرسي بالانتخابات. وتزعم خامنئي ذلك المسار من خلال الحديث حول «الصحوة الإسلامية» في مصر وإنشاء مكتب خاص بقيادة أحد أقدم مستشاريه وهو علي أكبر ولاياتي لمساعدة الإسلاميين على الفوز بالسلطة في العالم العربي. وفي خطاب له، زعم خامنئي أن الإسلام الحديث ليس لديه سوى ثلاثة «مفكرين عظام مؤثرين» أحدهم هو سيد قطب - منظر جماعة الإخوان المسلمين التي فاز مرشحها، محمد مرسي، برئاسة مصر. (وبالنسبة لخامنئي، فإن المفكرين العظيمين الآخرين هما آية الله الخميني، والصحافي ورجل الدين الباكستاني أبو الأعلى المودودي).

وحرصا على ترسيخ مفهوم «الصحوة الإسلامية»، فرضت وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية على وسائل الإعلام المحلية عدم استخدام مصطلح «الربيع العربي»؛ فما كان يحدث هو «صحوة إسلامية» واضحة ونقية في وجه أكثر من قرن من العلمنة في العالم الإسلامي، حيث أكد

طهران كرّست آلتها الإعلامية لتأييد مرسي.. وبعد انتخابه

حاولت التأثير على مساره السياسي

«الإخوان».. من طهران إلى القاهرة وبالعكس.. استغلتهم الدول الاستعمارية مبكرا في لعب أدوار سياسية توافق مصالحها

ولاياتي: «هذه صحوة إسلامية مستوحاة من ثورة الإمام الخميني في إيران». وفي هذا الإطار، فعندما تقدم الفيلسوف الإيراني داريوش شايغان للحصول على تصريح لنشر كتابه الجديد حول «الربيع العربي»، أخبروه بضرورة تغيير العنوان إلى «الصحوة الإسلامية» أو يصبح الكتاب معرضا للحظر.

ومن جهة أخرى، تم تجاهل حقيقة أن الجماعات الإسلامية، بما في ذلك الإخوان المسلمون، لم تلعب دورا في المراحل الأولية والحاسمة من الثورات في تونس ومصر. والأهم من ذلك هو أن وسائل الإعلام في طهران اختارت أن تتجاهل حقيقة أن معظم المسلمين العرب لا يتعاطفون مع نظام الخميني «ولاية الفقيه» الذي بمقتضاه يحصل الملا على سلطة لا نهائية نيابة عن المهدي المنتظر.

ولعدة أسابيع، كرست طهران آلاتها الإعلامية لتأييد مرسي، وبعد انتخابه حاولت التأثير على مساره السياسي. كما أشارت بعض التقارير، وإن كان من الصعب تأكيدها نظرا للطبيعة السرية لنظام الخميني، إلى أن الجمهورية الإسلامية قامت بضخ كميات هائلة من الأموال بالاستعانة برجال أعمال مصريين في لندن لتمويل الحملات الانتخابية لجماعة الإخوان المسلمين.

وكان لدى طهران أسباب أخرى تجعلها تتوقع الشكر من جماعة الإخوان المسلمين. فلمدة تزيد على العقد، كانت الجمهورية الإسلامية أحد أهم الممولين لحماس، وهي الفرع الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين، كما استضافت قيادتها وقدمت لها الوحدات العسكرية المزودة بالأسلحة، بالإضافة إلى التدريبات. ولسنوات، كانت طهران تقدم أيضا الدعم المالي والدعائي لفرع جماعة الإخوان بالجزائر. ففي عام 1992، أظهرت الوثائق التي تم تسريبها في ألمانيا أن طهران أودعت أكثر من سبعة ملايين دولار في حسابات بنكية تهيمن عليها «الجبهة الإسلامية للإنقاذ».

أيتام جماعة الإخوان

بعدما تعرضت جماعة الإخوان المسلمين لحملة قمع واسعة النطاق خلال فترة حكم الرئيس حسني مبارك، فقدت الجماعة جانبا كبيرا من

قدرتها على مساعدة الكثير من الأفرع التي تتبعها سواء رسميا أو شبه رسمي في أنحاء العالم كافة. وفي الكثير من الحالات، وجد «أيتام» جماعة الإخوان مصادر جديدة للمواساة والدعم في نظام الخميني بطهران. فعلى سبيل المثال، مولت طهران الجماعة التي يقودها «الأخ» كليم صديقي في بريطانيا، كما مولت إنشاء ما أطلق عليه «البرلمان الإسلامي» في لندن.

وفي التسعينات، قدمت طهران التمويل لفرع الجماعة التركي وساعدتهم على توفير الآليات التي يحتاجون إليها للفوز بالانتخابات المحلية والقومية. وعندما أصبح نجم الدين أربكان، السياسي التركي ذو الصلة بجماعة الإخوان، رئيسا للوزراء في عام 1996 - 97، شكلت طهران تحالفا وثيقا مع حكومته في إطار خطط طموحة لإنشاء مجموعة الثماني الإسلامية في مواجهة مجموعة السبع التي تتزعمها الولايات المتحدة.

بدأت الاتصالات الأولى بين نظام الخميني و«الإخوان» في أواخر الثمانينات عندما اندلعت الحرب الإيرانية - العراقية؛ حيث أقام السفير الإيراني لدى الفاتيكان، هادي خسروشاهي، اتصالات مع عدد من قيادات جماعة الإخوان المقيمين بأوروبا. كما أنشأت السفارة الإيرانية لدى الفاتيكان دار نشر ساعدت على ترجمة ونشر عدد من كتب «الإخوان». كما أن خسروشاهي نفسه، الذي يعد من الملالي متوسطي الشأن، كان قد ترجم تاريخ جماعة الإخوان إلى الفارسية في أول رواية مكتملة حول نشأة الحركات الإسلامية وتطورها. ولاحقا، التقى مبعوث إيران لمكتب الأمم المتحدة بجنيف، سايروس ناصري، عددا من المصريين المنفيين في سويسرا، الذين لدى بعضهم صلة بحسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين في عام 1928. وفي بداية التسعينات، أقامت طهران أيضا اتصالات مع راشد الغنوشي رئيس حزب النهضة التونسي، وعباسي مدني زعيم «جبهة الإنقاذ» الجزائرية الإسلامية. ومن الاتصالات الأخرى التي أقيمت بين «الإخوان» وطهران، الاتصال بحسن الترابي، السياسي السوداني الذي رغم أنه ليس عضوا بجماعة الإخوان فإنه تمكن من التأثير عليهم والحصول على دعمهم لمساعيه للوصول إلى السلطة. وقد

منع استخدام تعبير «الربيع العربي»
وترسيخ مفهوم «الصحوة الإسلامية»

ميرلوحي .. «الأصفهاني الخجول» الذي صار لاعبا رئيسا في السياسات الإيرانية المضطربة.. وعدته الرواية الرسمية الأب المؤسس لنظام الخميني واعتبره المعارضون عميلا بريطانيا

التقت الأطياف المختلفة للراديكالية الإسلامية في أبريل (نيسان) 1991 فيما يطلق عليه «المؤتمر الإسلامي الشعبي العربي» الذي استضافه الترابي في الخرطوم، وحضره ممثلون عن ما يزيد على 70 تنظيما من 50 دولة، بما في ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وكندا. وقد أعلن ذلك الجمع المتنوع من المؤمنين بالراديكالية الإسلامية دعمه وتأييده لجماعة الإخوان المسلمين ونظام الخميني في إيران.

وأرسلت مصر أحد أكبر الوفود المشاركة في المؤتمر، الذي تضمن من سيصبح لاحقا الرجل الثاني في تنظيم القاعدة وهو أيمن الظواهري، بالإضافة إلى إبراهيم شكري. كما حضرت أعداد غفيرة من المجاهدين الأفغان، بما في ذلك عبد رب الرسول سياف، وقلب الدين حكمتيار. وكان الفريق الإيراني بقيادة آية الله مهدي كروبي، الذي كان رئيسا للمجلس الإسلامي (البرلمان) بطهران في ذلك الوقت. كما أرسلت إيران أيضا وفدا من فرعها اللبناني، حزب الله، بقيادة عماد مغنية. وقدم أسامة بن لادن نفسه باعتباره ممثل المملكة العربية السعودية وزعيم ما أطلق عليه «جبهة الإنقاذ الإسلامية» رغم أنه كان يقيم بالسودان في ذلك الوقت.

وشاركت الجماعات الفلسطينية كافة بأعداد كبيرة، كان بينها شخصيات رفيعة المستوى مثل ياسر عرفات ونايف حواتمة، وخالد مشعل. كما حضر فتحي الشقاقي ممثلا عن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تدعمها إيران، كما أرسلت العراق في ظل حكم صدام حسين وفدا يترأسه أحد أولاد عمومة الديكتاتور وهو سعد التكريتي. وحضر داود موسى بيتكوك، زعيم «الحزب الإسلامي» في المملكة المتحدة ممثلا عن بريطانيا العظمى، كما حضر عبد الباري عطوان، الصحافي البريطاني من أصل فلسطيني. وكان الفريق اليمني يقوده عبد المجيد زنداني، ومثل عبد القدوس زعيم حركة «أراكان» دولة بورما، بينما مثل عبد الرزاق الجنجلاني «الأفغان العرب» الذين يقاتلون ضد النظام الشيوعي في كابل. كما كانت هناك وفود من الجماعات الإسلامية المسلحة بالفلبين والمعروفة باسم «أبو سياف» وكذلك تايلاند.

ووفقا لمحمد مهدوي، الذي كان في ذلك الوقت يعمل دبلوماسيا في النظام الإيراني، ساهمت طهران في تكلفة إقامة ذلك الحدث بمبلغ قيمته ثلاثة ملايين دولار. وكان الحضور في ذلك المؤتمر يأملون أن يتمكن مسلمو العالم، الذين كانوا يقدرون بنحو 1.2 مليار نسمة في ذلك الوقت، من أن يتحدوا لخلق «قوى عظمى» يمكنها أن تتحدى الهيمنة الأميركية التي تركت وحدها على الساحة بعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية. ولكن رغم اتحادهم على كراهية الولايات المتحدة، سواء كانت تلك الكراهية حقيقية أم مختلقة، كان للمشاركين في المؤتمر الكثير من الأجندات المتباينة. وبعدما أنفقت قدرا كبيرا من المال، كانت طهران تتمنى أن تطرح نفسها باعتبارها قائد حركة الوحدة الإسلامية وتسعى للحصول على اعتراف بأن «مرشدها الأعلى» هو زعيم الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم. ولكن ذلك السيناريو كان يبدو بالنسبة لمعظم المشاركين، على الأقل، سيناريو غريبا. فمن الصعب أن يتقبل المسلمون السنة، الذين يشكلون أغلبية الأمة، أن يصبح «المرشد الأعلى» لإيران الشيعية هو النسخة الحديثة من الخليفة.

ومن جهته، كان للترابي، مدير ذلك المؤتمر، أحلامه الواسعة أيضا، فقد أخبر كاتب سيرته الذاتية الفرنسي بأنه يتمنى الهيمنة على «دولة بترولية واحدة على الأقل» لكي يوفر التمويل الذي يحتاجه لكي يصبح زعيما للعالم الإسلامي. وفي إحدى مفارقات التاريخ، كانت السودان على وشك أن تصبح من كبرى الدول المصدرة للبترول، ولكن الحال انتهى بالترابي في السجن. كما أن المصريين الحاضرين في مؤتمر الخرطوم في ذلك الوقت لم يكونوا يمثلون الكتلة الرئيسة للإخوان المسلمين، ولكن عدد من الجماعات الراديكالية المتطرفة المتورطة في الإرهاب. وكانت أولى أولويات تلك الجماعات، التي كانت في ذلك الوقت تشن هجوما مسلحا ضد الرئيس مبارك، هو محاولة تحويل القواعد الشعبية لـ«الإخوان» إلى حركة راديكالية لمنعها من التوصل إلى مساومات مع النظام الحالي.

ومن جهة أخرى، قام المؤتمر بانتخاب لجنة توجيهية مكونة من تسعة أشخاص، بينهم بن لادن والظواهري، وكان يتم ممارسة نفس التقليد كل عامين. ورغم أنه على المستوى العملي، لم يسفر كل ذلك عن أي شيء وذهبت الخطابات الحماسية التي ألقيت في الخرطوم إلى غياهب النسيان، فقد أبرز ذلك الجمع عددا من النقاط المهمة.

طهران تستعيد «فدائيين الإسلام» الذين «قضت» عليهم وأعدمت قياداتهم حاولت إيران أن توجد لها موطئ قدم بمصر في عهد حكم الإخوان

أولا: أظهر أن الحركات الإسلامية على مستوى العالم، بشكل عام، متحدون في نظرتهم المتشككة تجاه العالم الحديث وإن كان بدرجات متفاوتة؛ حيث إنهم يدركون أن الإسلام لم يلعب دورا في تشكيل النظام الدولي الذي نعرفه حاليا. فقد تأسس العالم الحديث على مبادئ اقتصادية وسياسية وفلسفية ومناهج تم تطويرها في أوروبا الغربية، خاصة فرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا وهي دول مسيحية. كما أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونحو 14 ألفا أو أكثر من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تنظم تقريبا مناحي الحياة كافة في العالم المعاصر - هي نتاج عدة دولة غربية مسيحية.

وبمعنى آخر، وبالنظر إلى ذلك النظام المعقد الذي لم يساعد الإسلام على خلقه ولا يبدو أنه يستطيع استيعابه تماما، يبدو الإسلام دخيلا. فعلى سبيل المثال، كيف يمكن النظر للمؤمنين وغير المؤمنين باعتبارهم متساوين أمام القانون؟ وكيف يمكن للمرء أن يقنع نفسه بفكرة أن الرجال، بل وحتى النساء، وكلاهما فان، لديه الحق في سن التشريعات حتى وإن كان ذلك يعني مراوغة أو تجاهل الشريعة؟

السعي إلى تسوية

في القرن التاسع عشر، حاول الكثير من «المفكرين» المسلمين أن يجدوا طريقة يستطيع عبرها الإسلام أن يتقبل ذلك العالم الغريب ويساعد على تطويره فيما يتفاوض للحصول على مساحة أكبر لمتطلباته الدينية وتلك المتعلقة بالتقاليد.

وبعيدا عن الشكوك في العالم الحديث، أشار ذلك الجمع من الإسلاميين الراديكاليين من جميع أنحاء العالم إلى درجة عالية من الخوف من أن تشق الحضارة الغربية، التي تشهد صعودا منذ القرن السابع عشر، طريقها إلى دار الإسلام وتخلب لب أغلبية المسلمين. وكان ذلك الخوف دائما ما يتردد على ألسنة الكثير من قيادات الإسلام الراديكالي. فدائما ما كان علي خامنئي يكرر: «إن العدو يهاجمنا على الجبهة الثقافية». وقد ترددت أصداء ذلك الخوف بين قيادات جماعة الإخوان المسلمين الذين يزعمون أن «الغرب» الذي لم يتمكن أبدا من تعريفه، مشارك في حرب ثقافية ضد الإسلام. والعامل الثالث المشترك بين ذلك الجمع المتباين من الإسلاميين، بداية من الخمينيين، وصولا إلى الفصائل المختلفة من جماعة الإخوان، هو اعتقادهم أن أنواع السياسة كافة، سواء الداخلية أم الخارجية، تتكون من سلسلة من المؤامرات. فبالنسبة لهم، لا يوجد شيء كما يبدو عليه ولا شيء يمكن أن يحدث من دون قدر من التآمر الذي يحدث سرا. والعامل الرابع المشترك بين هؤلاء الإسلاميين هو اعتقادهم ضرورة وفاعلية العنف الذي يمكن أن يعني في الكثير من الحالات الإرهاب لخدمة الأهداف السياسية.

وكما كان البنا يؤكد: «لقد حقق الإسلام النصر بحد السيف» متجاهلا حقيقة أن معظم من يتم تصنيفهم حاليا كمسلمين في أكثر من 57 دولة على مستوى العالم لم يتم غزو بلادهم بحد السيف.

ومن جهة أخرى، فإن الإيمان المشترك بضرورة وفاعلية العنف، دفع الإسلاميين المعاصرين إلى تفسير الجهاد بأنه الاغتيالات والعمليات الانتحارية والخطف والحرب.

والنقطة الخامسة المشتركة بين الإسلاميين هي اعتقادهم بالقوى السحرية للقائد ذي الكاريزما، الذي عادة ما يطلق عليه «المرشد الأعلى». ونظرا لاقتناعهم بأن «الأشخاص العاديين» غير قادرين على تقديم مساهمات إيجابية في صناعة القرار في المجتمع، يسعى الخومينيون و«الإخوان» إلى تأسيس نظام أفلاطوني من حكم النخبة يقع فيه «المرشد الأعلى» على قمة هرم صناعة القرار.

وأخيرا، فإن الإسلاميين بطوائفهم كافة يعانون عقدة نقص عميقة الجذور يحاولون إخفاءها بالغطرسة والتعالي. فهم لا يؤمنون بأن الإسلام قوي بما يكفي للصمود عند دخوله في منافسة مع الديانات الأخرى أو مع الحضارات الأخرى، إذا ما نظرنا له باعتباره ثقافة. وقد برزت عقدة النقص تلك من عدة نواح. فعلى سبيل المثال، يحب الكثير من القيادات الإسلامية إبراز حصولهم على لقب «دكتور» وهو لقب غربي، كما أن الكثير منهم يستخدم في خطاباته وأحاديثه استعارات من الأكاديميين والفلاسفة الغربيين «الكفار».

توحي الطريقة التي يتم بها تقديم قيادات جماعة الإخوان المسلمين بأننا نتعامل مع نخبة طبية، فحتى حسن روحاني، الرئيس الجديد

للنظـام الخميني، يصر دائمـا على أن يطلق عليـه «دكتور» وفقـا لدرجة علمية حصل عليها في «الشـريعة» من جامعة خاصة مجهولة في أسـكوتلندا، بدلا من أن يطلق عيه حجة الإسلام. ومن قبله، كان الرئيس محمود أحمدي نجاد يفتخر بكونـه «دكتورا» كما كان الرئيس الأول لنظام الخميني أيضا أبو الحسـن بنـي صدر يفعـل. ولا حاجة للقول بأن مرسـي أيضـا كان «دكتـورا» قبـل أن يكـون «أخـا». كمـا كان مرتضى مطهـري، وهو الملا الـذي ينظر له باعتبـاره المنظر الرئيس لثـورة الخميني، مولعا بهيغل رغـم أن كل ما يعرفه عن هذا الفيلسـوف الألماني يعتمد على سـيرة مختصرة كتبها مؤلف إنجليزي وترجمها للفارسية حامد عنايت.

ورغـم تحذيرهم من اسـتمرار عدم الوقوع فـي فخ الثقافة الغربية، وقع الكثير من الإسـلاميين ضحايا لذلك الفخ. فهم يرسـلون أولادهم للدراسـة في الجامعات الأوروبية والأميركية ويسـافرون إلى الغرب في الإجازات وللعلا ج ويسـتثمرون أموالهم في البنوك والعقارات الغربية، وعندما يتم نفيهم أو يضطرون إلى ترك بلدانهم فإنهم يذهبون إلى باريس أو لندن أو نيويورك بدلا من دكا أو كابل أو لاغوس.

والآن، دعونا نعد سريعا إلى ذلك اليوم الحار من أيام أغسطس (آب) في طهران. كان «المرشد الأعلى» علي خامنئي يجلس في غرفة إلى جوار قاعة المؤتمرات منتظرا اتصالا من الرئيس المصري الدكتور مرسـي الذي يزور البلاد؛ حيث إن مثل ذلك الاتصال يمكنه أن يعزز رغبة خامنئي في أن يظهر «كقائد للمسلمين كافة » بعدما جاء زعماء العالم الإسلامي للإعراب عن احترامهم، واعترافا بسيادته.

وفيما كان خامنئي ينتظر في غرفته، كان الدكتور مرسي في الغرفة الأخرى التي تقع على بعد 15 مترا، يعقد اجتماعات مع عدد من زعماء دول عدم الانحياز من أنحاء العالم كافة. وبعدما انتهت الاجتماعات، أعلن مرسـي أنه سـوف يغادر إلى المطار لكي يتمكن من اللحاق برحلته إلى القاهرة في نهاية زيارة استمرت عدة ساعات فقط. أجل، لم يكن لديه وقت للقاء خامنئي. فعلى خامنئي أن ينتظر مناسبة أخرى!

والسبب؟ يعتبر مرسي خامنئي سياسيا متخفيا في هيئة رجل دين، بينما ينظر خامنئي لمرسي باعتباره رجل دين متخفيا في زي السياسي. فإذا ما ذهب أحدهما للآخر فإنه يحتفي بهيمنة الآخر في ذلك النظام التراتبي المتخيل من الأحقية في قيادة الإسـلام السياسـي. وعندما سمع الرئيس محمود أحمدي نجاد بتلك الأنباء السيئة، شعر بالخزي أمام «المرشد الأعلى» الذي كان قد حصل على وعود بأن المشاركين كافة في القمة سـوف يذهبون ويعربون عن احترامهم له. فقد أنفقت إيران 600 مليون دولار لإنشاء قاعة مؤتمرات جديدة والاستعداد للمؤتمر، وانتهى الحال بعدم حصولها على أي شـيء. والأسـوأ هو أن مرسـي كانت لديه الجرأة للنطق بأسـماء أبو بكر، وعمر وعثمان، وهم ثلاثة من الخلفاء الراشـدين الأربعـة خـلال خطابه بالمؤتمر الذي يبث على الهواء مباشـرة على الشاشـات المحلية. وفشـل مراقبو النظام الذين تمكنـوا من حجب أجزاء من خطاب مرسي في الوقت الملائم في حجب ذلك الجزء. فيا لها من كارثة لنظام الخميني!

ومـع ذلك، فإن الروابط التي تم تأسيسـها قبل عدة عقود اكتسـبت قوة آيديولوجية وتنظيمية جديدة بين حركـة الخميني الموجودة في السلطة حاليا بإيران، وجماعة الإخوان المسلمين التي وصلت إلى السلطة في القاهرة بعد سقوط النظام الناصري.

في عشرينات القرن الماضي، وجدت تركيا وإيران ومصر - الأمم الثلاث التي كانت لقرون عدة، بيئة خصبة لإنتاج الجدل والتمرد الإسلاميين، بما في ذلك الترويج للعديد من البدع - نفسها تمضي في مسارات تفضي إلى المجهول.

ففـي تركيـا، أي ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، حاولت القيادة الجديدة وضع أكبر مسـافة ممكنة بين الدولة والإسـلام؛ حين تأسـس النظـام الكمالـي على مفهوم العلمانية، الذي يعني - وفقا للتفسـير التركي - أن تهيمن الدولة على الديـن، ومن ثم فقد أصبح الدين هو ما تقره الدولة في الجمهورية التركية الجديدة.

وفي إيران، لم تكن الدولة البهلوية تشعر بالقدر نفسه من الالتزام بالعلمانية الذي كانت تشعر به الدولة التركية. لكنها حاولت بناء نظام لا يتجـاوز فيـه الإسـلام كونه دينا وجـزءا من حقيقة أكبر وأكثر تعقيـدا. وأكدت الدولة الجديـدة، على «مجد» إيران ما قبل الإسـلام، وروجت للوطنية الجديدة التي تعتمد على «الهوية الآرية» لإيران، بدلا من صلتها بالدين العربي.

كانـت مصـر تمر بأزمـة أكثر عمقا فيمـا يتعلق بدور الديـن في المجتمع؛ ولـم يلق المؤرخـون القدر الكافي مـن الانتباه للـدور الذي لعبته الآيديولوجيات الغربية، سـواء في معسـكر اليسـار أو اليمين الليبرالي، في إعادة تشكيل الروح السياسية المصرية الجديدة في العقود الأولى من القرن العشـرين. ومع ذلك، سـوف يكشف إلقاء نظرة أكثر قربا على المشهد النخبوي في مصر، في تلك الفترة، تنوعا سياسيا وآيديولوجيا هائلا، حيـث كان لكل من القومية العربية، والعروبة، والوطنية المصرية، والاشـتراكية، والشـيوعية، والفاشـية، والتيار الليبرالـي المحافظ، جماهيرها الانتخابية. والمثير للانتباه، وكان واضحا، هو أن الدين بالنسـبة للنخب المصرية، كان يبدو وكأنه شـأن من شـؤون الماضي، ومجموعة من المعتقدات العاجزة عن تقديم إجابات للتحديات التي تواجهها أمة تعيش تحت الهيمنة الأجنبية.

وإذا ما نظر البعض للمشهد السياسي في تلك البلدان الإسلامية المحورية، في بداية العشرينات من القرن الماضي، ربما يستنتج أن الإسلام، كقوة سياسية، كان يتراجع تاريخيا. لكن مثل تلك التحليلات يعتمد على خطأ أساسي؛ حيث اتخذ الإسلام في الدول الثلاث، رد فعل دفاعيا من خلال تنظيم صفوفه والسعي للحصول على دور جديد. ففي تركيا، انسحب الإسلام إلى أخويات صوفية، عادة ما كان يجري تنظيمها في جماعات سرية أو حركات دينية اجتماعية شعبوية، اعتادت تقديم نفسها باعتبارها جمعيات خيرية (وتعد الحركة التي يقودها حاليا فتح الله غولن أحد النماذج على ذلك).

وفي إيران، ونظرا لأن النسخة الإيرانية من الإسلام، الشيعية، كانت لديها دائما، تنظيماتها الخاصة، كان بإمكان رجال الدين الانسحاب إلى المساحة التي خلقوها لأنفسهم على مدار قرون طويلة؛ حيث انتقل آيات الله ببساطة إلى النجف، التي نشأت حديثا في العراق للتخلص من الضغوط التي كان الشاه يفرضها عليهم في طهران. وكما كان الحال في تركيا، شهدت الأخويات الصوفية ازدهارا خاصا في المدن الكبرى. وأثبتت الحشود الهائلة من الحجاج التي كانت تزور الأضرحة الشيعية «المقدسة» في «مشهد» و«قم» أن الدين لا يمكن إقصاؤه ببساطة من الحياة الإيرانية.

وفي مصر، حاول الأزهر، الاحتفاظ بدور خاص لنفسه ولكن غياب طبقة رجال دين منظمة ذات قواعد شعبية، كما كان الحال في إيران، ترك فراغا ملأته، لاحقا، جماعة الإخوان المسلمين. كما كانت مصر تفتقر للحركات الصوفية القوية التي ازدهرت في تركيا وإيران. ومع ذلك، كان للإسلام السياسي ميزة أساسية في مصر؛ وهي حركات النهضة الحديثة التي ركزت على إجراء إصلاحات دينية في القرن التاسع عشر.

* رجل من الشرق

* كان الشخص الرئيس الذي يقع في قلب ذلك الجدل هو جمال الدين الأفغاني، وهو ناشط سياسي إيراني كان يحلم بإنشاء دولة عصرية قوية على النموذج الأوروبي بقيادة «ديكتاتور تنويري».

ولد الأفغاني في أسعد آباد، غرب طهران. في البداية كتب جمال الدين، الذي لم يزر أفغانستان أبدا، سيرته الذاتية كأفغاني، وأطلق على نفسه اسم الأفغاني لإخفاء عقيدته الشيعية أثناء عمله في البلدان التي يهيمن عليها السنة مثل الإمبراطورية العثمانية ومصر. وإحقاقا للحق، لم يزعم جمال الدين أبدا أنه سني مسلم، ولكنه كان يمارس التقية. وتزعم بعض المصادر أن القيادات الشيعية في «قم» أرسلت جمال الدين إلى إسطنبول ثم إلى القاهرة في عام 1871، لفحص إمكانية نشر المذهب الشيعي في الإمبراطورية العثمانية، فيما زعم آخرون أن جمال الدين أرسل في مهمة لمواجهة النفوذ المتنامي للحركة الإسلامية المحافظة التي يتزعمها محمد عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية.

وأكد محمد محيط الطباطبائي، وهو أحد كاتبي السيرة الذاتية لجمال الدين، ذلك جزئيا، حين قال: «لم يحصل جمال الدين أبدا على تدريب أو إقرار بكونه رجل دين، وكان يقدم نفسه إلى المرجع بـ(قم) باعتباره مبلغا. ولكن على أية حال، هناك شكوك حول تكليفه بأية مهام خاصة من قبل آيات الله، حيث كان جمال الدين أقرب إلى كونه رجل سياسة، وكان أكثر اعتدادا بذاته من أن يتلقى الأوامر من أحد». كما يذكر الكاتب أيضا، أن جمال الدين خلال سفرياته إلى الإمبراطورية العثمانية، ولاحقا إلى فرنسا وبريطانيا، كان متأثرا، إلى حد كبير، بالأفكار الغربية الليبرالية. ويضيف الطباطبائي: «لقد كان هدفه هو جلب المسلمين إلى العالم المعاصر». ويقول: «لقد أراد أن ينشئ المسلمون دولا على الغرار الأوروبي فيما يحافظون على إيمانهم».

ويمكن تعزيز ذلك التحليل، عندما نضع في اعتبارنا علاقة جمال الدين بعدد من السياسيين الإصلاحيين الإيرانيين، خاصة ميرا ملكم خان، والأمير منوشهر ميرزا. ولاحقا، ذكر اسم جمال الدين أيضا في واقعة اغتيال ناصر الدين شاه قاجار، ملك إيران، على يد ميرزا رضا كيرماني في مايو (أيار) 1896. ومن المؤكد أيضا، أن جمال الدين كان من أوائل مؤسسي المحافل الماسونية في مصر وتركيا وإيران. ويؤكد كاتب سيرة جمال الدين، أن أفكاره لعبت دورا محوريا في الحث على الثورة الدستورية في إيران في عام 1905. وبمعني آخر، فإن جمال الدين، أو السيد جمال، كما يحب المصريون أن يطلقوا عليه، كان ينظر للدين كأداة في خدمة السياسة وليس العكس.

وسوف تصبح بعد ذلك فكرة الإسلام كأداة سياسية، مكونا حيويا للإسلام الحديث بأشكاله المختلفة – بداية من الإخوان المسلمين والخمينية وصولا إلى «القاعدة».

ومن جهة أخرى، تضمن المشهد السياسي في عشرينات القرن الماضي، في العالم الإسلامي، الدراما الموازية للنزاع بين القوى الأوروبية. فقد كانت القوة المهيمنة في المنطقة هي بريطانيا العظمى، ولكنها كانت تواجه تحديا متناميا من النظام السوفياتي في روسيا بآيديولوجيته الشيوعية الراديكالية المناهضة للإمبريالية والساعية إلى تحقيق العدالة للأمم الفقيرة. كما شهد أواخر العشرينات أيضا، بزوغ تحدي آيديولوجيا جديد للهيمنة البريطانية، وهو الفاشية التي نشأت، في البداية، في شكلها المخفف، على يد بنيتو موسوليني في إيطاليا في الثلاثينات وما بعدها، ثم في نسخة أكثر حدة على يد أدولف هتلر في ألمانيا. وسرعان ما اكتسبت الفاشية، بنسخها المختلفة، جمهورا خاصا بها في قلب العالم الإسلامي خاصة في تركيا وإيران ومصر.

وفي مواجهة آيديولوجيتين راديكاليتين؛ الفاشية والشيوعية، لم يكن بوسع البريطانيين الاعتماد على الديمقراطية الليبرالية التي تبدو أكثر اتساقا مع المنطق من المشاعر.

ونظرا لأن الديمقراطية الليبرالية تعتمد على مفهوم أن تحيا وتدع الآخرين يحيون، فإنها تصبح مثيرة للشكوك بالنسبة لمن تتمركز

عقيدتهم حول مفهوم «إما أن تقتل أو تقتل» خاصة فيما يتعلق بالدين أو القومية القمعية.

* الدين كسلاح سياسي

* لقد ظهرت فكرة استخدام الإسلام كسلاح في النزاعات والحروب ضد القوى الأوروبية، لأول مرة، في القرن الثامن عشر، عندما غزا نابليون بونابارت مصر. فخلال تلك الفترة، أشاع الجنرال الفرنسي أنه اعتنق الإسلام، وأنه يسعى «لتحرير» المسلمين الرازحين تحت حكم «الكفار» قاصدا البريطانيين. ولاحقا، استخدمت بريطانيا أساليب مشابهة ترددت أصداؤها في العديد من الروايات، بما في ذلك رواية بنيامين دزرائيلي «كونينجسباي». وخلال الحرب العالمية الأولى، انتشرت شائعات، بأن قيصر ألمانيا اعتنق الإسلام. ورد البريطانيون على تلك الشائعة، بنشر أخرى تفيد بأن شخصية إسلامية مقدسة كانت تختبئ لقرون عدة، على وشك العودة وقيادة الجيوش الإسلامية في حربها ضد الألمان. وأصبحت تلك الفانتازيا هي محور رواية جون بوشان الباهرة «غرينامنتل» التي نشرت في عام 1916. ولاحقا، عندما حاول الكولونيل توماس إدوارد لورانس تبني تلك الرواية في العالم الحقيقي، استحوذ ما أطلق عليه «الانتفاضة العربية» على الخيال البريطاني.

وبعد ذلك، ظهرت فائدة جديدة لفكرة «غرينامانتل» في أواخر العشرينات، عندما واجهت الشركة الأنجلوفرنسية التي تمتلك قناة السويس، أزمات متكررة من قبل العاملين المصريين المتأثرين بالشيوعية و/ أو القومية العربية. وكانت إحدى طرق مواجهة تلك الآيديولوجيات «غير الإلهية» من الشيوعية والقومية، هي الاستعانة بالديانات ذات الشعبية الواسعة التي كانت في تلك الحالة هي الإسلام. ومن ثم، فعندما أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، سارعت الشركة بالإعلان عن اهتمامها بتلك الحركة. كما كان استخدام مصطلح «الإخوان» مطمئنا، إذ إنه كان يشبه المصطلحات الماسونية التي يقوم أعضاؤها بحلف قسم الولاء، وينظرون لبعضهم البعض باعتبارهم «إخوة».

ويصر بعض منتقدي جماعة الإخوان المسلمين، على أن الحركة كانت من اختراع الاستعمار البريطاني من بدايتها. وعلى الرغم من عدم وجود أدلة قوية على مثل تلك المزاعم، فإن المؤكد أن شركة القنال وحركة البنا الجديدة، كان لديهما العديد من المصالح المشتركة. وأن الشركة دعمت الجماعة، على الأقل، في المراحل الأولية لنشأتها في الإسماعيلية. وتبرز حقيقة وقوف الجماعة، بعد ذلك، ضد بريطانيا حقيقتين:

أولا، أن الإخوان المسلمين أصبحوا في موقف قوي بما يكفي لأن يجعلهم غير محتاجين للدعم الأنجلوفرنسي.

ثانيا، بعدما أسست الحركة شبكة خاصة بها من الدعم، أصبح بإمكانها وضع الأجندة الخاصة بها. وفي الوقت نفسه، كان التهديد الذي مثله الشيوعيون والجماعات الفاشية بالنسبة للقنال قد تراجع، ولم يعد للظهور في المشهد مرة أخرى، إلا في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ورفع

الضباط الأحرار راية القومية العربية.

مما لا شك فيه، أن استخدام القوى الغربية العظمى للدين كأداة لسياستها الإمبريالية ليس خفيا؛ فمن أبرز الأمثلة الحديثة على ذلك، الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة للجماعات الإسلامية الراديكالية في أفغانستان كجزء من النزاع الأوسع ضد الإمبراطورية السوفياتية.

وخلال الحرب العالمية الثانية وتداعياتها، واجهت بريطانيا تهديدا مماثلا في إيران. ففي مصر، هدد الشيوعيون والقوميون المصالح البريطانية في القنال. وفي إيران، جاء التهديد من الجماعات نفسها لشركة البترول الأنجلوإيرانية، التي كانت تمارس احتكارا كاملا لإنتاج البترول الإيراني ومبيعاته. وعندما اندلعت الحرب الأوروبية الكبرى في 1939، كان الإيرانيون موالين للألمان إلى حد كبير. وكان هناك نحو 4000 عميل ألماني يشار إليهم باعتبارهم «خبراء فنيين» يعملون في إيران، وهم من أشاع أن هتلر تشيع، وأن اسمه الجديد هو «حيدر»، وهو أحد الألقاب التي تطلق على علي بن أبي طالب، أول أئمة الشيعة.

وجرى تفسير الصليب المعقوف، رمز الحزب النازي، باعتباره «صليبا مكسورا»، ومن ثم دليلا على أن «حيدر» حطم الرمز الذي كان «الكفار» بمقتضاه يحاربون الإسلام. وقد أبدى بعض الملالي، خاصة أبو القاسم كاشاني، تعاطفا مع النازيين نظرا لكراهيتهم للبريطانيين. فيما كان البعض الآخر، مثل آية الله العظمى محمد حسين بروجردي، يؤمن بأن بريطانيا وألمانيا النازية يمثلان «السيئ» و«الأسوأ»، ومن ثم فإنه كان حريصا على الوقوف إلى جانب أهون الشرين. كما كانت هناك حالة واسعة من التعاطف مع الألمان بين صفوف الجيش الإيراني، حيث كانت الآيديولوجية الآرية تشير إلى أن الألمان والإيرانيين ينتمون إلى العائلة الثقافية العرقية المعروفة باسم العائلة الهندوأوروبية نفسها. وكان أقوى رجلين في الجيش، وهما العمداء زاهدي والشاه بختي، من الموالين الأقوياء لألمانيا.

ومع ذلك فإن المثير للدهشة، هو أن العديد من جماعات النازية الإيرانية أخفقت في جذب الجماهير. فقد كانت إحدى الجماعات التي كان يتزعمها محمد نخشاب، تتكون من عشرات النشطاء، فيما لم يتمكن حزب العمال الاشتراكي المعروف باسم «سومكا» الذي كان بقيادة داود مونشي زاده أبدا، من أن يصبح تنظيما على مستوى البلاد. ومن جهة أخرى، جذبت نسخة أقل حدة من النظرية الآرية، روج لها حزب «بان إيرانيست»، نسبة من الجماهير ولكن لفترة محدودة.

وعلى النقيض، انجذب عدد كبير من الإيرانيين، على نحو مثير للدهشة، للآيديولوجيات اليسارية، خاصة نسخة الاتحاد السوفياتي من الشيوعية، حيث أصبح حزب توده الإيراني، الذي أنشئ في أعقاب الغزو السوفياتي لإيران في عام 1941، حركة شعبية حقيقية. وفي مرحلة ما، كان الحزب والتنظيمات التابعة له ينشر نحو 11 صحيفة يومية ويهيمن على المشهد النخبوي الإيراني. وفي ذروة نشاطه، كان يزعم أن لديه نحو 50 ألفا من حاملي بطاقات العضوية.

وبحلول عام 1944، أصبح واضحا، أن دول المحور بقيادة ألمانيا سوف تخسر الحرب، وهو ما يعني نهاية التهديد الذي تمثله النازية بالنسبة للمصالح البريطانية في إيران. ومع ذلك، ظل التهديد الشيوعي، الذي كان الاتحاد السوفياتي يعززه، قائما. فقد كانت كل من بريطانيا وروسيا تتصارعان على الهيمنة في إيران منذ القرن التاسع عشر، وقد توقف هذا النزاع لفترة قصيرة أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية، عندما اضطرتا للتحالف معا. ومع اقتراب انتهاء الحرب، كان من المؤكد أن روسيا سوف تسعى، مرة أخرى، لتحقيق حلمها في الوصول إلى «المياه الدافئة»، من خلال الهيمنة إن لم يكن ضم الدولة الإيرانية الضعيفة. هل كانت هناك قوى إيرانية يمكنها مقاومة مثل تلك النتيجة؟

حتى قبل انتهاء الحرب، طرح السفير البريطاني، السير ريدر بولارد، المعروف بمعاداته الشديدة لإيران، والمؤرخة آن لامبتون ذلك السؤال. وكان كلاهما مقتنعا بأن الاعتماد على القومية الإيرانية أمر شبه مستحيل. فقد كانت نسختهم الآرية، التي كان مفكرون من أمثال كاظم زاده ايرانشهر، يعبرون عنها، معادية تماما لبريطانيا، وتميل للثأر التاريخي. وفي نسختها الأقل حدة، والتي كان يمثلها أشخاص مثل الشاعر الشهير، محمد تقي بهار، كانت تميل للانحياز إلى السوفيات في مواجهة الإمبريالية البريطانية.

ولم يكن كل من بولارد ولامبتون مخطئين في النظر إلى الشيوعية باعتبارها تهديدا خطيرا للنفوذ البريطاني في إيران. فقد كان حزب توده يلقى رواجا بين طوائف المجتمع المدني الإيراني كافة. وكان العديد من المثقفين إما أعضاء فعليين فيه أو متعاطفين معه. والأهم من ذلك، هو أن تودة كان يجذب حتى قطاعا من رجال الدين الشيعة، بما في ذلك بعض الملالي ذوو الشعبية، مثل مصطفى لنكوراني وعلي أكبر البرقعي. وفي عام 1945، فاز حزب توده بمكانة أعلى، بعدما شارك في الحكومة الائتلافية بثلاثة وزراء. وكانت لامبتون تؤمن بأن الإيرانيين لن يتمكنوا من تطوير آيديولوجيا قومية قادرة على مقاومة تحديات الشيوعية، والحفاظ على مصالح بريطانيا، وأن أي شكل من أشكال القومية الإيرانية العلمانية، سوف يصبح مناهضا لبريطانيا. وكان الخيار الوحيد الباقي، هو ترويج «الحل الإسلامي» لإيران. وأصبح ذلك موضوع البحث الذي نشرته لامبتون بعد انتهاء الحرب. في هذا البحث، طورت فكرة حكم السلطة الدينية، وهو المفهوم الموجود في الشيعية تحت عنوان «ولاية الفقيه»، ولكنه يفتقر للدلالة السياسية. وتحدثت عن وضع الأفراد المعرضين للخطر، مثل الأرامل والأيتام، تحت رعاية رجل دين محل ثقة ليحميهم من أي شخص يحاول استغلال وضعهم. وعلى الرغم من أن لامبتون كانت أول شخص يحاول ترجمة تطبيق «ولاية الفقيه» إلى مصطلحات سياسية، طور الإخوان المسلمون في مصر، أيضا، معتقداتهم السياسية إلى حكومة دينية.

فهل يمكن جمع التجربتين المصرية والإيرانية معا وتطوير آيديولوجيا إسلامية جديدة قادرة على مواجهة تحديات العلمانية من خلال آيديولوجيا مناهضة للإمبريالية؟

حاول شاب طموح من أصفهان، تقديم إجابة على هذا السؤال، وهو مجتبى مير لوحي، الذي سيصبح مؤسس النسخة الإيرانية من الإخوان المسلمين ثم بعد ذلك بعقود، الأب الروحي للجمهورية الإسلامية التي أسسها آية الله روح الله الخميني.

انتظر الشاب ساعات قبل أن يخرج «الهدف» من منزله، وبعدها قفز أمام الرجل العجوز قائلا: «هل نستطيع التحدث قليلا؟» فأجابه العجوز: «يمكننا أن نتحدث كثيرا فيما أسير إلى العمل».

حدث ذلك المشهد في طهران في 1940، وقبل شهور من اجتياح القوات السوفياتية والبريطانية للعاصمة الإيرانية واحتلالها. كان ذلك الشاب، هو مجتبى مير لوحي، الطالب بالكلية الألمانية الفنية في طهران. أما العجوز فكان أحمد كسراوي، القاضي بالمحكمة الجزائية الذي كان من أبرز مثقفي تلك الفترة.

كان كسراوي قد نشر للتو، كتابا جديدا يحمل عنوان «الشيعة»، انتقد فيه عقيدة أغلبية الشعب الإيراني، ما دفع الملالي لانتقاد الكتاب من فوق منابرهم، على الرغم من أن معظمهم لم يقرأه. ومن جهة أخرى، حاز الكتاب إعجاب قطاع واسع من الجماهير، خاصة بين دوائر النخب ذات الميول الغربية وطلاب الجامعة. وأعرب الكثير منهم عن تقديره لطريقة كسراوي السقراطية في طرح الأسئلة حول مناحي عقائد الشيعة كافة والأساطير التي تشوبها.

وكان مير لوحي يتحين الفرصة للقاء كسراوي لكي يقنعه بسحب الكتاب. ولكن سرعان ما اتضح أن كسراوي يؤمن تماما بأن المذهب الشيعي هو السبب الرئيس وراء الانحدار التاريخي لإيران، وأنه ينظر إلى كتابه باعتباره أول الطريق في حرب واسعة ضد «الخرافات الفاسدة».

كان مير لوحي قد حدد «مهمته» مع حجة الإسلام شاه آبادي، الذي كان قد أصدر فتوى بقتل كسراوي. وكان لوحي يأمل أن يعيد كسراوي إلى «المسار الصحيح»، ما ينفي ضرورة قتله. وبعدما رسخ في يقين مير لوحي ضرورة قتل القاضي المثقف، أصبح من الضروري تأجيل الخطة نظرا لغزو الحلفاء للبلاد والاضطرابات التي أسفر عنها الاحتلال الأجنبي. وفي الوقت نفسه، كان مير لوحي بحاجة لأن يلم شتات نفسه.

ولد مير لوحي في 1924، تتنازعه طموحات متباينة؛ ففي المدرسة الألمانية، كان الشاب قد أغوته الدعاية الموالية للنازية، فيما كان يدرّب لكي يصبح عامل حديد، بينما كان يحلم أن يصبح مهندسا. وفي الوقت نفسه، كان منجذبا لفكرة أن يحصل على التدريب للعمل كممثل، فقد أصبح اثنان من زملائه، هما حامد القنبري، ومحمد علي الجعفري، من أشهر نجوم المسرح والسينما الإيرانيين. وكانا قد أقنعا مير لوحي بحضور عدد من التدريبات المسائية في التمثيل، ولكن الشاب الذي جاء من أصفهان، كان يفكر في البعد الديني أيضا.

وعندما بلغ عامه الثامن عشر، كان الحلفاء قد أغلقوا المدرسة الألمانية وتفرق طاقم عملها. وسرعان ما وجد مير لوحي وظيفة في شركة البترول الأنجلو إيرانية، وسافر إلى عبادان التي تقع على بعد 1000 كيلومتر، للعمل كحرفي في الشركة التي كانت تعد في ذلك الوقت من أكبر مصافي البترول في العالم. وعلى الرغم من أننا لا نعلم تماما ما الذي حدث في عبادان، تفيد الرواية الرسمية للجمهورية الإسلامية، التي تعتبر مير لوحي الأب المؤسس لنظام الخميني، بأن ميرلوحي اصطدم بالمديرين البريطانيين وتم فصله بعد عام واحد من عمله هناك، فيما يزعم معارضو الخميني، بأن مير لوحي تم تجنيده على يد الاستخبارات البريطانية ضمن عدد كبير من الشباب المتدين، لكي يشاركوا في تنفيذ خطة لتأسيس جماعة مناهضة للشيوعية وتدعو للإسلام.

من جهته، يتذكر الصحافي المخضرم، ناصر أميني، الذي كان أحد معاصري مير لوحي في المدرسة الألمانية في طهران، الرجل باعتباره «ولدا خجولا ومنطويا ولم يكن متدينا في تلك الفترة».

على أي حال، ظهر مير لوحي، بعد ذلك، في النجف، بعدما عبر على نحو غير شرعي إلى العراق ومعه قدر كبير من الأموال زعم أنه ادخرها من راتبه، فيما زعم منتقدوه أنها دعم بريطاني. على أي حال، كان مير لوحي يرغب في أن يتدرب لكي يصبح رجل دين شيعيا. وفي طريقه إلى النجف، تخلص من اسمه الأصلي وقدم نفسه باسم محمد نواب صفوي. ثم زعم، بعد ذلك، أنه اختار ذلك الاسم لكي يربك «أعداء» لم يحدد ماهيتهم كانوا يطاردونه من عبادان.

حضر نواب عدة دروس دينية مع عدد من آيات الله، بمن في ذلك، عبد الحسين أميني، ومحمد مدني، ومحمد تقي الجعفري. ولكن سرعان ما اتضح أن «الطالب» الجديد، ليس مهتما بتعقيدات العقيدة الشيعية. فقد كان يرغب في أن يصبح رجل ميدان. وزعم مير لوحي، لاحقا، أنه تعلم كل ما يحتاجه حول الدين خلال طفولته، عندما كان يحضر دروس الجمعة بمسجد «خاني آباد» في طهران. وفي واحدة من حالات الاختفاء التي ستتكرر بعد ذلك، اختفى نواب من النجف بعد ستة أشهر.

ولكن إلى أين ذهب؟ يعتقد البعض أنه سافر إلى القدس التي كانت، في ذلك الوقت، تحت الحكم البريطاني، ربما لتوسيع أفقه «الإسلامي» فيما يعتقد البعض الآخر، أنه ربما يكون قد سافر إلى القاهرة ليقيم علاقات مع الإخوان المسلمين للمرة الأولى. على أي حال، ظهر نواب مرة أخرى في أغسطس (آب) 1941، في طهران، كعضو في حاشية شاه آبادي. وكان يرتدي هذه المرة، زي الملالي وعمامة سوداء تشير إلى أنه ينحدر من نسب النبي. فيتذكر أميني قائلا: «كانت المرة الثانية التي شاهدنا فيها ذلك الولد النحيل الخجول، وقد أصبح رجلا طويلا يتخذ وضعية القادة».

وكانت تلك الوضعية تناسب وضعه الجديد. فسرعان ما أعلن نواب بعد عودته، عن نشأة تنظيمه الجديد «فدائيو الإسلام»، الذي لم يتجاوز عدد أعضائه، في ذلك الوقت، العشرات، الذين كان من بينهم اثنان من المهاجرين القوقاز، هما مدني وتركماني، وكلاهما هرب من الحكم

السوفياتي، بالإضافة إلى مهدي آراقي، وهو لاعب كمال أجسام من جنوب طهران، انفصل عن نواب بعد ذلك، واتهمه بخدمة البريطانيين. فقد كتب آراقي في عام 1979: «لقد انفصلت عن الفدائيين لأنهم كانوا يتصلون بالبريطانيين، ويتواصلون مع جماعة الإخوان المسلمين المصرية التي أنشأها البريطانيون قبل عدة سنوات». كما انضم للفدائيين في البداية خليل طاهامبسي، الذي كان يعمل نجارا، ومحمد واحدي، وهو من رجال الدين الشباب.

* تنظيمات موازية

* في البداية، كان على نواب معالجة قضية مهمة تتعلق بما إذا كان سيكرر الازدواجية التي خلقتها جماعة الإخوان المسلمين في مصر أم لا. فقد أسس المسلحون المصريون جناحا عسكريا لاستخدامه في اغتيال الشخصيات العامة وممارسة الضغوط على الخصوم. وفي الوقت نفسه، كانت الكتلة الرئيسة للحركة، تركز على التعليم ونشر التقاليد والأخلاقيات الإسلامية في المجتمع. لكن مصلحة نواب المباشرة، كانت تقتضي تأسيس قوة عسكرية تحرك الأحداث و«تسرع مسار التاريخ» تاركا مهمة الدعوة للقيم الإسلامية على غرار جماعة الإخوان المسلمين للآخرين، وهو ما بدأ بعد خمسة أعوام، حينما تأسست جماعة فرعية للفدائيين أطلق عليها «مجتمع الإخوة» اختارت سيد حسن إمامي رئيسا لها.

كان نواب يشعر بأن عليه أن يقوم بشيء مبهر لكي يجري التعامل معه بجدية، باعتباره لاعبا رئيسا في السياسات الإيرانية المضطربة والخطرة في ذلك الوقت. فقد أحيا فكرة قتل كسراوي، وتمكن من الحصول على فتوى جديدة من آية الله حسين القمي. وهذه المرة، وفر شاه آبادي نحو 8000 ريال، كانت تعادل في ذلك الوقت، 75 دولارا، لشراء أسلحة لقتل كسراوي. ووفقا لمعظم الروايات، فإن من قام بتوصيل تلك الأموال من شاه آبادي، هو روح الله الخميني، الذي سيؤسس، لاحقا، الجمهورية الإسلامية، وكان في ذلك الوقت، أحد طلاب آبادي. حينذاك، كانت طهران تعج بالأسلحة التي خلفها مئات العملاء الألمان الذين اختفوا قبل وصول القوات الروسية والبريطانية، وقد وفّر مبلغ الـ75 دولارا الذي جلبه الخميني، إمكانية شراء أربعة مسدسات ألمانية من طراز «وغر بارابيلوم». ومع ذلك، فإن محاولة اغتيال كسراوي أمام حزب «باهماد أزاديجان»، أخفقت. وسرعان ما هرب فريق الفدائيين الذي قام بالمحاولة. وبعد ذلك بشهور، تم اغتيال كسراوي بالأسلحة البيضاء داخل المحكمة بطهران.

المدهش، أن السلطات لم تبذل جهودا حثيثة لملاحقة قتلة كسراوي ومعاقبتهم، فقد كانت الاغتيالات السياسية ظاهرة جديدة في السياسة الإيرانية، ما جعل المسؤولين يشعرون بأن الخوف شلهم. فقد كان تنظيم «فدائيو الإسلام» الغامض، يستدعي إلى الأذهان إحدى الجماعات التي ظهرت في العصور الوسطى، وهي جماعة «الحشاشين» التي كان يقودها حسن صباحي، وكانت تتمركز في أعماق جبال آلموت بشمال غربي طهران. وإدراكا للخوف الذي هيمن على السلطات، أنشأ نواب مركزا للتدريب العسكري في «فاشافويه» ثم في ضاحية نائية في طهران. وإلى هذا المركز، قام رجال نواب باصطحاب صحافي شاب هو ماجد دوامي، وهو معصوب العينين لزيارتهم. وكان دوامي سيكتب تقريرا عن «المشهد السريالي الذي يتعلم فيه المراهقون والشباب الصغار غير القادرين على حمل السلاح، كيفية التصويب».

وبينما كان نواب يتعلم إطلاق النار، كان عليه أيضا معالجة المشكلة الكبرى المتعلقة بتأسيس إطار سياسي. وقد تمكن من معالجتها عبر الاستعانة بعدد من منشورات جماعة الإخوان المسلمين التي جلبها معه في رحلاته. وبعد أسابيع من كتابة فصول تبدو مفككة، وتتناول قضايا متباينة، أنتج نواب كتيبا تم طباعة نحو 10 آلاف نسخة منه، وتوزيعه مجانا في طهران وغيرها من كبرى المدن الإيرانية. وجاء كتيب نواب تحت عنوان «دليل الحقيقة» وكان يتكون من ثلاثة أقسام. الأول، يعالج كيف يجب على المسلمين أن يعيشوا في مجتمع متأثر، إلى حد كبير، بالغرب وبعيد عن الإسلام. وعلى نحو مدهش، كشف زعيم الفدائيين، عن موقف معتدل في مواجهة الغرب. فهو لا يرفض الحضارة الغربية على نحو قاطع. كما أنه يستشهد باليابان باعتبارها نموذجا للحضارات غير الغربية القادرة على أن تأخذ من الغرب ما يفيدها وتترك ما لا يفيدها. ومن ثم، فإنه يقبل إرث إيران من الثورة الدستورية، بشرط ألا يمرر البرلمان المنتخب أي قوانين من دون الحصول على موافقة صريحة من رجال الدين الشيعة. في هذا السياق، يشير إلى الشيخ فضل الله النوري، الملا الذي كان يخطب مدافعا عن «الشرعية الدينية» في مواجهة الدستورية العلمانية، في بداية العقد الأول من القرن العشرين. (لاحقا أدين نوري بتهمة إثارة الفتنة وحكم عليه بالإعدام شنقا). ومن الأشياء الأخرى المثيرة للدهشة، أن نواب احتفى بالملكية باعتبارها أفضل نظام لحكم المسلمين حتى يعود «المهدي المنتظر». وقد وصف ملك المسلمين باعتباره «ملك الأمة» لكنه حذر محمد رضا شاه من «لاعقي الأحذية الخونة» الذين يستغلون سلطاته. ولاحقا، زعم نواب في مذكراته التي نشرتها صحيفة «خواندنيها» الأسبوعية، بأنه في وقت ما من عام 1944، كان يفكر في اغتيال الشاه الصغير ولكنه غير رأيه. هل أقام نواب صلات مع حاشية الشاه؟ ظل هذا السؤال محل جدل عميق في إيران لستة عقود.

وفي كتابه، كان نواب واضحا في التأكيد على أن النساء لا يمكن أن يصبحن مساويات للرجال، وأنهن يجب أن يوفرن طاقتهن وطموحهن للعمل على أن يصبحن أمهات صالحات.

* ضد رجال الدين

* يعالج القسم الثاني من الكتاب، قضية البترول التي كانت من القضايا الساخنة في قلب الجدل الوطني الإيراني. والمثير للاهتمام، هو أن نواب لا يتحدث عن التأميم باعتباره الخيار الأفضل، وهي الفكرة التي تبناها، لاحقا، عدد من السياسيين بمن في ذلك محمد مصدق ومظفر البقاعي.

ويشتمل القسم الثالث من الكتاب، على هجوم عنيف على كبار رجال الدين الشيعة، مستهدفا آية الله العظمى محمد حسين بروجردي الذي كان يعد، في ذلك الوقت، أكبر مرجع تقليد في قم. وعلى الرغم من أن نواب لا يذكر اسم بروجردي، فإن الهجوم الذي شنه عليه لا يترك أي لبس في التعرف على هويته.

وكان لكتيب نواب، تأثيرا عميقا على تلك الأقلية من رجال الدين والمفكرين، ممن كانوا ينظرون إلى الإسلام ليس فقط باعتباره دينا، ولكن باعتباره آيديولوجية سياسية. كما ساهم كتاب نواب، في إلهام الخميني أثناء تأليفه كتاب «الحكومة الإسلامية» الذي سيصبح الأساس النظري للجمهورية الإسلامية لاحقا. وقد احتفى نواب بفرضية لامبتون، التي تفيد بأن الإيرانيين يجب أن يعيشوا في كنف نظام ديني، ولكنه لم يطالب بأن يشارك رجال الدين مباشرة في الحكم. كما اقترب الخميني من موقف لامبتون من خلال الدعوة «لولاية الفقيه» وممارسة رجال الدين للسلطة.

وعلى الرغم من أن كتاب نواب لا يتجاوز، من الناحية النظرية، كونه نشرة سطحية مخصصة لجذب المشاعر أكثر من مخاطبة العقول، فإنه يعد وثيقة مهمة نظرا لتأكيده على ضرورة قيام الأفراد بأفعال مباشرة. وبقبول مفهوم أن «الغاية تبرر الوسيلة»، أصبح الكثير من أجيال الإسلاميين الإيرانيين، المتأثرين بإخوان مصر، يؤمنون بأنهم يستطيعون أن يكذبوا ويغشوا، بل ويقتلوا لخدمة هدف نبيل؛ وهو تأسيس حكم إسلامي حقيقي. ولم يكن الخميني الشخص الوحيد الذي وقع أسيرا لكاريزما نواب. فلاحقا، ردد علي شريعتي، الكثير من أفكار نواب. ويزعم علي خامنئي، الذي أصبح لاحقا «المرشد الأعلى»، أنه حضر عددا من اللقاءات التي تحدث فيها نواب في طهران في بداية الخمسينات. فقد كتب خامنئي: «انبهرت به، فكان سحر شخصيته قادرا على جذب الجميع».

وعلى المدى القصير، لم يكن تأثير نواب كمنظر للسياسات الإسلامية ذا بال، ولكن دعوته للقيام بفعل مباشر، وجدت رواجا مدهشا. فقد استهل تنظيمه (الفدائيون)، والتنظيمات التابعة له، عصرا من الاغتيالات السياسية لم يكن مسبوقا في إيران، منذ الوقت الذي ظهرت فيه جماعة الحشاشين قبل ذلك بألف عام. وعلى الرغم من فشلها، فإن محاولة اغتيال الشاه استخدمت كحجة لحظر حزب توده، على الرغم من أن الشخص الذي كلّف بعملية الاغتيال، وهو ناصر فخر آرايي، كان صحافيا في صحيفة «شعار الإسلام» ولم يكن شيوعيا. كما تعرّض الكثير من الصحافيين العلمانيين أيضا للاستهداف. فقد قتل كل من محمد مسعود، رئيس تحرير «مرد أمروز» أو «رجل اليوم»، وأحمد دهقان، ناشر صحيفة «مصور طهران» الأسبوعية الذي اشتهر بانتقاداته للإسلاميين.

كما شن الفدائيون أيضا، الكثير من الهجمات الشرسة، فقد اغتالوا وزير الثقافة أحمد زنقانة، ورئيس الوزراء السابق، عبد الحسين هزير. ولاحقا، أخفقت محاولات اغتيال كل من رئيس الوزراء الأسبق حسين علاء، وحسين فاطمي ناشر صحيفة «بختار إمروز» أو «الغرب اليوم».

وجاءت أقوى الهجمات التي شنها الفدائيون في 7 مارس (آذار) 1951، عندما قاموا باغتيال رئيس الوزراء الجنرال علي رازمارا، خلال الصلاة في أحد المساجد الكبرى في طهران. في ذلك الوقت، وفي رسالة إلى نواب نشرت في صحيفة «شعار الإسلام»، هنأ «المرشد الأعلى» للإخوان المسلمين في مصر، حسن إسماعيل الهضيبي، «الإخوة الإيرانيين» بمناسبة «القضاء على عميل الكفر». وفي السنوات اللاحقة، تم التشكيك في نسبة تلك الرسالة إلى الهضيبي، أثناء محاولة المصريين وضع استراتيجية جديدة تستهدف إبعاد جماعة الإخوان عن العنف.ونظرا لرعبها من الفدائيين، لم تحاول السلطات الإيرانية معاقبة القائمين على عمليات الاغتيال، أو حتى إلقاء القبض عليهم. وكان القتلة، بمصاحبة نواب، يقومون بزيارة كبار رجال الدين في طهران، وكان من أبرزهم آية الله أبو القاسم كاشاني، لإبراز حصانتهم في سلسلة من الصور التذكارية. كما جال نواب عددا من المدن لترويج آيديولوجيته بشأن الفعل المباشر واستقطاب فدائيين جدد.

وانتشرت الإشاعات بشأن تمتعه بحماية أشخاص نافذين، بما في ذلك المحكمة الملكية والأوساط الموالية للبريطانيين في طهران. ويزعم المؤرخ محمد أميني، أنه قبل أسبوعين من اغتيال رازمارا، استقبل الشاه نواب في لقاء قصير. وعندما قام الشاه بعزل رئيس الوزراء في عام 1953، أرسل نواب برقية تهنئة إليه. ووفقا لتقارير لم تثبت صحتها، تمت مكافأته بالسماح له بالتحدث إلى جمهور داخل القصر. على أي حال، تم منح نواب، بعد أسبوع من تلك البرقية، جواز سفر و«مساهمة» مالية لكي يتمكن من القيام بجولة في الكثير من الدول العربية، بما في ذلك العراق والأردن ولبنان وفي النهاية مصر.

* لقاء ناصر في القاهرة

* وفي القاهرة، التقى نواب بقيادة الإخوان، كما التقى بالرئيس جمال عبد الناصر، في لقاء تم الترويج له على نحو واسع في إيران. وزعمت زوجة نواب، لاحقا، بأن زوجها نجح في تحويل نصف أعضاء حكومة ناصر إلى المذهب الشيعي. وفي لقاء مع قيادة الإخوان في القاهرة، تم التركيز على اتخاذ إجراءات مشتركة ضد «البدع في الإسلام». وفي القدس، التي كانت جزءا من المملكة الأردنية في تلك الفترة، ألقى نواب بخطة في مؤتمر إسلامي إلى جانب ممثلين عن أفرع جماعة الإخوان الأخرى. والمكان الوحيد الذي لم يلق فيه نواب الترحيب كان قم، قلب المذهب الشيعي الإيراني؛ حيث كان آية الله العظمى بروجردي ينظر إلى الفدائيين باعتبارهم مغامرين، تسيء سلوكياتهم لسمعة الإسلام كدين للتسامح والمنطق. ومن ثم فإنه عندما جاء نواب، بمصاحبة اثنين من كبار معاونيه، وهما محمد واحدي ومحمد ذو القدر إلى قم، لحضور اجتماع للفدائيين، أمر بروجردي طلابه، بقيادة حارسه الشخصي، محمد لور، وهو رجل قوي، بطردهم من المدينة. فقاموا بإلقاء نواب ورفيقه في البحيرة التي تقع على مقربة من ضريح المعصومة، فيما كان حشد من المتفرجين يقهقه بالضحك.

وقد مثلت تلك الحادثة بداية سوء حظ ذلك الفرع الإيراني للإخوان المسلمين. وبعدما أدركوا أنهم أصبحوا معرضين لخطر الاعتقال، اختبأ نـواب ورفاقه في سـبتمبر (أيلول) 1955. فقد كانوا قد حققوا الغرض الموكل إليهم من قبل تلـك القوى الغامضة التي كانت تحميهم لعقد كامل، وأصبحـت نهايتهـم محتومة. وفي نوفمبر (تشـرين الثاني)، تم إلقاء القبض على نواب ومائة من معاونيـه ومحاكمتهم في عدد من التهم، بما في ذلـك القتل، وحكم على نواب وثلاثة من مسـاعديه هم تاهمبسـي، الرجل الذي قتل رازمارا، وذو القدر، الرئيـس التنظيمي للجماعة، وواحدي، منظر الجماعة، بالإعدام وتم تنفيذ الحكم في 18 يناير (كانون الثاني) 1956. وخلال المحاكمة، أثبت نواب أنه كان أضعفهم، حيث بكى وتوسـل للحصول على عفو ملكي من دون جدوى. ولم يكن يعلم أنه بعد ربع قرن من تلك الواقعة، سـوف يصبح أتباعه في السـلطة في طهران، وأن أحد معجبيه، وهو الخميني، أعلن نفسه «كزعيم لكافة المسلمين في جميع أنحاء العالم».

(صحيفة الشرق الأوسط)

الإخوان المسلمون وإدخال التمدد الشيعي إلى تونس... راشد الغنوشي نموذجا

مدخل تاريخي

زحـف عبيد الله الشّـيعي علـى رقّادة "القيـروان" من المغرب الأقصى (١) مقترفا أشرس حرب تطهير ديني ضـدّ أهـل السّـنّة وقهر سـكّان البـلاد وأجبرهم على التّشـيّع، ولم يطمئنّ عبيد الله الشّيعي إلى ولاء أهل القيـروان له، فانطلق إلـى المهديّة ليجعلها مدينة له، ولينطلق منها إلى الإسـتيلاء على مصر ويسـتقرّ بها عاصمة له سنة ٩٧٣.

ودام حكم "الفاطميّين" في تونس ٦٤ عاما.

ولـم تلبـث تونس أن تمـرّدت على واليـه وعادت إلى مذهب مالك السّنّي ليزول التّشيّع من تونس نهائيّا.

كما أُطيح بالتّشيّع ودولته أيضًا في مصر على يد صلاح الدّين الأيّوبي.

وطهرت المنطقة من الشّيعة وخلُصت لأهل السّنّة أزيد من ألف عام خالية من الفرق إلاّ قلّة من الإباضيّين تعايشوا مع أهل السّنّة في أمان، وظلّ الأمر على ذلك النّحو حتّى انطلاق ما يُسمّى الثّورة الإيرانيّة عام 1979 حيث تسرّب التّشيّع الدّيني عبر مناصرة التّشيّع السّياسي لإيران وما يُسمّى بطولات حزب الله.

فمن وراء بسط التشييع في تونس في تلك المرحلة التي لم يكن فيها شيعي تونسي فيما نعلم قبل سنة 1979؟ ومن أبرزُ الأشخاص الذين غَلَوا وتراموا في تبييض الخميني الشيعي وإيران الصفوية؟

هذه الدراسة تكشف بالأدلة والتوثيق العلمي من وراء ذلك التشييع في تونس.

إنّ أيّ تقارب مع دين الشّيعة أو إيران وسياساتها التّوسّعيّة العدوانيّة هو ـ بلا منازع ـ تهديد كبير لأمن تونس والتّونسيّين وزرع لمستقبل من نزاع قذر مرير، وراشد الخرّيجي شُهر الغنّوشي لا يرى ذلك، ولذلك لم يعارض أيّ اتّفاق مع إيران سواء كان ثقافيّا أو علميّا أو اقتصاديّا أو سياحيّا، هذا فضلا أن يُغلق مراكز إيران في تونس أو يجمّد نشاط توابعها من نشطاء الشّيعة بتونس لمّا حكم تونس بعد ما يُسمّى ثورة، بل شارك الخرّيجي في مؤتمراتها أو غيرها في إيران أو في سفارتها في تونس في كلّ مناسبة كحضوره بمناسبة الاحتفال بالذكرى 37 للثورة الإيرانية الطائفية، كما حرص أيضًا على توجيه الدّعوة لسفيرها لحضور مناسبات حزب النّهضة سواء كانت سياسيّة أو دينيّة، من مثل احتفالهم بالمولد النّبوي الشّريف هذه السّنة.

لقد تماهى الغنّوشي في الشّيعة مُبكّرا منذ (1969/1968) حيث انتظم منذ شبابه خلال إقامته بباريس بعضويّة فاعلة في جمعيّة طلاّبيّة يُشرف عليها شيعيّ إيرانيّ، وكان الغنّوشي يُعين الإيراني في ترجمة خطب الخميني من الفرنسيّة إلى العربيّة، والغريب أنّ الغنّوشي يعترف ـ في فخر واعتزاز ـ أنّه هو ومن معه من السّنّة اختاروا هذا الإيراني رئيسا لهم فيكتب: "وإنّ ممّا يلفت النّظر أنّ ذلك الطّالب الإيراني الذي اخترناه لرئاسة جمعيّة الطّلبة المسلمين بفرنسا كان الإيرانيّ الوحيد، وكان شديد التّديّن على المذهب الجعفري، وما اعترض أحد على تشيّعه أو أثار هذا الموضوع جدلاً أو شكّل عائقاً أو مصدر حرج لاختياره لموقع الرّئاسة في جمعيّة كلّ أعضائها سنّيّون شدّهم إليه تديّنه وكفاءته "(2).

اعتنق راشد الغنّوشي كثيرا من العقائد الفاسدة للخميني وأتباعه، وانخدع بزخرف شعاراته وتبناها وتماهى فيها فنقل عنهم نفس بدعهم

شهوة السّلطة غطّت عين الغنّوشي فما عاد يبصر إلاّ من خلالها

فقصر عقله عن إدراك حقيقة أمر الشّيعة وأهدافهم التوسعية

الخبيثة بتصرّف، وتجلّى ذلك في أمور منها:

1- طعنه في الأنبياء عليهم السلام، مُتّهما إيّاهم بالفشل في الجمع بين الإصلاح العقائدي والسّياسي حسب ادّعائه، فكتب:" وهو تعبير صارخ عن فشل مهمّة الجمع بين الإصلاح العقائدي و السّياسي معا "(3). وهذه الطّامّة نقلها الغنّوشي عن الخميني القائل:" لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنّهم لم ينجحوا، حتّى النّبيّ محمّد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشريّة، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك. وإنّ الشّخص الذي سينجح في ذلك، ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانيّة الإنسان وتقويم الانحرافات؛ هو المهدي المنتظر... فالإمام المهدي الذي أبقاه الله سبحانه وتعالى ذخرا من أجل البشريّة، سيعمل على نشر العدالة في جميع أنحاء العالم، وسينجح فيما أخفق في تحقيقه الأنبياء..." (4).

لقد جارى الغنّوشي الخميني وأخذ عنه تطاوله على الأنبياء وتجرّءه على الرّسل دون أن يدري أبعاد النّوايا الباطنيّة للخميني "الباطني" التي تستهدف تكسير "قداسة" الأنبياء والرّسل -عليهم السّلام- وصنع قداسة كهنوتيّة حول شخصه، لأنّ الخميني – بثورته – بلغ مستوى الرّسالات السّماويّة، وقاد أعظم ثورة لم يقم بها الأنبياء، ليقينه أنّه نائب المهدي له ما للمهدي من منزلة وقداسة، ألم يكتب الخُميني:" وإنّ من ضروريّات مذهبنا أنّ لأئمّتنا مقامًا محمودًا لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل "(5).

2 – طعن الغنّوشي وتشكيكه في خلافة أبي بكر الصّدّيق فكتب:" قوّل أدعياء التّسنّن على نبيّهم، فأوّلوا إنابته لأبي بكر في الصّلاة على أنّه استخلاف "(6)، وقوله هذا يُوافق قول الخميني الذي كتب:" إنّ أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله بل أكثر من ذلك، إنّهم غيّروا أحكام الله، وأحلّوا حرام الله، وظلموا أولاد الرّسول، وجهّلوا قوانين الرّبّ وأحكام الدّين" (7). وقد أخذ الاستاذ راشد أيضًا هذا الطّعن من محمّد باقر الصّدر الذي يُقرّر أنّ الصّحابة -وحاشاهم- حرّفوا الخلافة إثر وفاة الرّسول مباشرة فقال:" هذا الانحراف وقع بعد وفاة النّبيّ (ص) وتمثّل في أنّ جماعة من صحابة الرّسول (ص) لم يرتضوا علياً المنصوص عليه من قبل النّبيّ (ص)، للخلافة فتصدّى بعضهم لها) (8)، وقال زيادة في التّفصيل:" الانحراف بدأ في أيّام ابن أبي قحافة وعمر، وكان انحرافاً مستوراً، وكان عمر موفّقاً جدّاً في أن يُلبس هذا الانحراف الثّوب الدّيني المناسب) (9)، ثمّ ادّعى أنّ بيعة السّقيفة لأبي بكر شوّهت الإسلام ومسخته فكتب:" لأنّ الأمّة كُتب عليها أن تعيش الحكم الإسلامي المنحرف منذ نجحت السّقيفة في أهدافها. إذن فالإسلام الذي تعطيه السّقيفة امتدادها التّاريخي هذا الإسلام إسلام مُشوّه ممسوخ، إسلام لا يحفظ الصّلة العاطفيّة فضلاً عن الفكريّة بين الأمّة ككلّ وبين الرّسالة، بين أشرف رسالات السّماء وأشرف أمم الأرض" (10).

3 – ومن طعن الغنّوشي في الصّحابة قوله في عمر بن الخطّاب:" لو كان على كرسي الحكم اليوم عمر بن الخطّاب لصار مستبدّاً "(11). والحال أنّ عمر كان يتمتّع بصلوحيّات مطلقة بصفته أميرا للمؤمنين بمعنى أنّه غير مُلزم بشورى المسلمين، ورغم ذلك حكم وعدل وانتصر وأعزّ الإسلام والمسلمين وأمِنَ.

4 – أمّا الصّحابي الجليل وكاتب الوحي وصهر الرّسول معاوية بن أبي سفيان الملك المجاهد فقد أثخن فيه الخميني القائل:" فلو خرج سلطان على أمير المؤمنين عليه السّلام لا بعنوان التدين بل للمعارضة في الملك أو غرض آخر كعائشة وزبير وطلحة ومعاوية وأشباههم أو نصب أحد عداوة له أو لأحد من الائمة عليهم السلام لا بعنوان التدين بل لعداوة قريش أو بني هاشم أو العرب أو لأجل كونه قاتل ولده أو أبيه أو غير ذلك لا يوجب ظاهرا شيء منها نجاسة ظاهرية. وإن كانوا أخبث من الكلاب والخنازير لعدم دليل من إجماع أو أخبار عليه..." (12). وسار راشد الخرّيجي سير إمامه الخميني فكتب:" الوالي المنشقّ معاوية بن أبي سفيان، وقد غلبت عليه – غفر الله له – شهوة الملك وعصبيّة القبيلة، فلم يكتف بأن انتزع الأمر من أهله بل ومضى في الغيّ!! لا يلوي على شيءٍ حتّى صمّم على توريثه كما يورّث المتاع لابنه وعشيرته، فجمع في قصّته المشهورة ثلّة من المرشّحين للخلافة من الجيل الثّاني من الصّحابة، وأمام ملأ من النّاس قام أحد أعوانه يخطب بصفاقة... وحينئذ بدأ مسلسل الشّرّ والفساد، مكرّساً الدّكتاتوريّة والوصاية والعصمة، مُقصياً الأمّة عن حقّها، مبدّداً طاقتها في جدلٍ عقيم حول الخلافة والاستخلاف "(13). ومن الأقوال التي وافق فيها الغنّوشي الرّافضة أيضا ما جاء على لسانه في خطبة جمعة له يوم 2013/07/12 في مركز حزبه بمونبليزير بتونس العاصمة أنّ معاوية تمرّد على الإمام عليّ وسنّ لعن عليّ على المنابر حتّى أبطله عمر بن عبد العزيز(14)، وهذا افتراء من افتراءات شيعة لم يقم دينهم إلاّ على الافتراء والكذب، لفّقوها على معاوية ضمن خرافاتهم التّاريخيّة دون إسناد! ومن المُقرّر أنّ الطّعن في أحد الصّحابة هو طعن فيهم جميعا، ومعاوية ستر من هتكه فقد هتك بيت الصّحابة جميعهم رضي الله عنهم.

فتأمّل كيف يحطّم راشد الخرّيجي رموز الأمّة السّابقين من الجيل الرّبّاني الفريد وانظر تطابقه في التّطاول على عدالة أبي بكر وعمر أبي بكرة و عمرو بن العاص وخالُه معاوية بن أبي سفيان، والرّسول صلى الله عليه وسلم حذّره من ذلك، فقال له:" لا تسبّوا أصحابي فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه "وحذّره أيضا:" لا تسبّوا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره" وتوعده:" من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتّى يخرج مما قال".

5 -ومن طعون الخميني الخبيثة طعنه لعلماء أهل السّنّة وقُضاتهم، فقد أورد في كتابه "الحكومة الإسلاميّة" (15) ما نُسِب كذبًا إلى جعفر الصّادق: أنّه يرى التّحاكُم إلى قُضاة المسلمين السُّنَّة وحكّامهم تحاكمًا إلى الطّاغوت، ثمّ يقول:" الإمام – عليه السّلام – نفسه ينهى عن الرّجوع إلى السّلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرّجوع إليهم رجوعًا إلى الطّاغوت "، ويسبُّ الخميني أحد قضاة الخلافة الرّاشدة وهو القاضي شريح ويقول عنه:" وكان شريح هذا قد شغل منصب القضاء قرابة خمسين عامًا، وكان متملّقًا لمعاوية، يمدحه ويثني عليه، ويقول فيه ما ليس له بأهل، وكان موقفه هذا هدمًا لما بنته حكومة أمير المؤمنين" (16). وقد وافقه الغنّوشي في ذلك الهراء، فانطلق يُحطّم علماء أهل السّنّة في مناسبات عديدة، فكتب:" قاموا بصفقة تاريخيّة لهم الشّريعة والحكّام لهم السّلطة "(17). ويكتب مرّة أخرى:" والوفاق التّاريخي بين العلماء والحكّام "(18) ". واتّهمهم أخرى أنّهم مجرّد موظّفين من طرف الحكّام وجعلوهم أدوات للاستبداد، فقال:"... مُتّخذة من الدّين ومؤسّساته وعلمائه مجرّد أدوات تستخدم عند الحاجة...وكانت محنة الإسلام وعلمائه عظيمة مع هذه الدّولة فاختار بعضهم المعاضدة للحكّام جريا على عادة علماء الإسلام "(19). وقال متجنّيا على العالم السّنّي والعربي:"...

للتّخلّص من العقليّة الفرديّة الّتي سادت العالم السّنّي والعربي منه خاصّة..."(20).

وتأمّل جيّدا كلّ تلك المقولات فستبيّن لك أمران، أوّلهما أنّ الغنّوشي ردّد أقوال الخميني والشّيعة في الطّعن في الأنبياء والصّحابة، وثانيهما أنّه يتحدّث عن الصّحابة وأهل السّنّة من منظور عدائي. وهذا يتناقض مع دعوته إلى ما يُسمّى" توافق "، أفليس التّطاول على رموز الأمّة من الأنبياء والصّحابة وعلماء أهل السّنّة يثير التّفرقة والفتن؟ وهكذا تَفهم أنّ التّوافق المقصود عنده يتعلّق بمسائل السّياسة فحسب، أمّا الدّين والعقيدة عنده فأمور ليست من أولويّاته، بل كما صرّح هو بنفسه أنّها من عوائق العمل السّياسي المشترك مع خصومه العقائديّين، ولذلك لم يستفزّه مسلسل طعن صحابة رسول الله في تونس والأمر يتواصل ويستمرّ ويتضخّم كلّ يوم عبر إعلام المجاري وهو صامت لا يتحرّك، غير أنّه تدخّل تحت ضغوط من منظومة الاستبداد لإيقاف برنامج مهمّ يكشف عن منظومة الفساد والفاسدين في البلاد يُبثّ عبر قناة الزّيتونة " التّابعة له، وتدخّل الغنّوشي وتوقّف البرنامج.

هذا هو الغنّوشي مع أصحاب النبيّ، أمّا رؤوس الكفر العالمي فيمدحهم ويُثني على " ديمقراطيّة " بوش وعلى " جمال " حكم شارون، ويحترم ماركس ولينين وكاسترو وبوتن فيقول:" وليس ماركس ولا لينين وكاسترو – مع الاحترام لهم – "(21). وقال في بوتن:" ألم يصنع الرّئيس الرّوسي بوتن سابقة إذ طلب العضويّة الشّرفيّة في منظمّة المؤتمر الإسلامي. وذلك ضمن قراءة نافذة للمستقبل وفي تواضع بعيدا عن طموح مغرور "(22).

هذا هو الغنّوشي الذي يقدح في أصحاب النبيّ أمّا أصدقاؤه فهم:" صديقنا المرحوم العلاّمة مهدي شمس الدّين ... صديقنا الشّيخ محمّد علي التّسخيري "(23) أمّا الخميني فهو إمام ومجدّد وروح الله وقائد وأب روحي له ويترضّى عنه في مجالسه، والحبيب بورقيبة أيضًا فقد ترّحم عليه ثمّ رآه في الجنّة بل رفعه إلى منزل " الرّفيق الأعلى "(24). ومعلوم أنّ الرّفيق الأعلى هو رتبة في الجنّة لا يبلغها إلاّ من أنعم الله عليهم من النّبيين والصّدّيقين والشّهداء وحسن أولئك رفيقا! فهل بورقيبة من الذين أنعم الله عليهم؟ ثمّ من أعلم الغنّوشي أنّ بورقيبة في الرّفيق الأعلى؟ فهل" أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا "(25)؟

فالمقصود أن راشد الغنوشي افتتن افتتانا شديدا بالخميني ونسخ أقواله الخبيثة ودواهيه الخطرة وجعلها من بنات أفكاره. هذا فضلا عن إعجابه بثورته وتأييده لها عبر مجلّة المعرفة وكتبه وحواراته ومؤتمرات إيران التي ترعاها تحت عنوان مؤتمرات التّقريب بين الشّيعة والسّنّة والوحدة الإسلاميّة.

الحضور القوي والمستمر للخميني وثورته في مجلّة (المعرفة) (26) وقف الغنوشي إلى جانب ثورة إيران يباركها ويدعو المسلمين إلى مناصرتها، وتحسين مذهبها مُهونا من البعد الشيعي والطائفي. أمّا المدير المسئول الشّيخ "السّلفي" عبد القادر سَلامة فلم يكن مُوافقا للغنّوشي في تنطّعه وحماسته لذلك التأييد، وكان يكتب مقالات تناقض ما يكتبه الغنّوشي إلاّ أنّ الأخير كان يقمع سلامة ولا ينشر له مقالاته " السّلفيّة " في مجلّة هو مديرها والمسئول عنها أمام السّلطة. ففي العدد الثّالث من السّنّة الخامسة من تلك المجلّة بتاريخ 12 / 02 / 1979 فقد صدر بغلاف فيه صورة الخميني يمدّ يديه وهو يدعو، وقد غطّت تلك الصّورة كامل الغلاف وتحته صورة أخرى فيها نساء إيرانيات والعنوان الكبير الوحيد بالأحمر (وانتصر الاسلام) ! وتحته مقوله للخميني " عرّفوا النّاس بحقيقة الاسلام كي لا يظنّ جيل الشّباب أنّ أهل العلوم في زوايا النّجف يرون فصل الدّين عن السّياسة وأنّهم لا يمارسون سوى دراسة الحيض والنّفاس ولا شأن لهم بالسّياسة ". ثمّ كتب من تحت " الإمام " الخميني. و في نفس العدد وتحت عنوان:" الثّورة الإيرانيّة ثورة إسلاميّة " كتب الغنّوشي:" إنّ ثورة إيران هي ثورة الإسلام ضدّ الاستبداد والقهر والتّبعيّة " وكتب أيضا:" ولذلك فسوف تكون نموذجا يَهتدي به كلّ الأحرار في العالمين الإسلامي والنّامي وتصبح إيران قلعة للحرّيّة ومركز الإشعاع الرّسالي في العالم ".

أمّا العدد التاسع لنفس السّنة الخامسة فقد أبرزت المجلّة عنوان:" المعرفة تُرشّح الخميني "، وكتب الغنّوشي في الصّفحة 9 مع صورة الخميني

يقترح على المملكة العربيّة السّعودية التي أنشأت (جائزة الملك فيصل العالميّة) أن تسند تلك الجائزة لسنة 1400 هجري إلى الخميني فكتب:" وأسرة المعرفة لا ترى أكفأ وأحقّ بالجائزة الأولى لخدمة الاسلام من الإمام آية الله الخميني بل إنّه لو أُسندت إليه يشرّفها ويرفع من شأنها فهو العالم المتبحّر في الفقه والأصول والفلسفة وعلم الفلك، وهو زعيم الشّعب الايراني المسلم وقائد ثورته العظيمة الذي طرح الاسلام الكامل الشّامل طرحا عمليّا عالميّا دوّخ العالم بقطبيه الشّيوعي والرأسمالي وحرّر شعبه المسلم من الظّلم والاستنزاف الاستعماري وهو سائر به بكلّ قوّة وثبات نحو إرساء دعائم الدّولة الاسلاميّة بإيران، وشاحذا عزائم الأمّة الإسلاميّة وباعثا فيها الأمل نحو العزّة والسّيادة ". أمّا الجائزة فتُقدّر بمائتي ألف ريال سعودي وميداليّة ذهبيّة وشهادة تقديريّة. وفي العدد الثامن من مجلة المعرفة كتب الغنوشي مقالاً بعنوان " الرسول ينتخب إيران للقيادة " جاء فيه: " إن إيران اليوم بقيادة آية الله الخميني القائد العظيم والمسلم المقدام هي المنتدبة لحمل راية الإسلام " معتبرا أنّ الرّسول عناه في حديث " إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها ". وقال: " إنّه بنجاح الثّورة في إيران يبدأ الإسلام دورة حضاريّة جديدة "(27). وكتب أيضا:" الذي يبدو واضحاً أنّ دولة شيعيّة قويّة ستولد في إيران وستكون طرفاً أساسياً في تحديد مصير المنطقة فلا مناص من مدّ الجسور الإسلاميّة المشتركة للتّعاون معها "(28). كما يُقرّر الغنّوشي في مقالاته أنّ الاتّجاه الإسلامي الحديث " تبلور وأخذ شكلاً واضحاً على يد الإمام البنّا والمودودي وقطب والخميني ممثّلي أهمّ الاتّجاهات الإسلاميّة في الحركة الإسلاميّة المعاصرة "، وأضاف في تعبيرة كنسيّة خطيرة تُبيّن عن نَفَسٍ غروري استعلائي أنّ البنّا والمودودي والخميني هم المُمثّلون الشّرعيّون والوحيدون للإسلام فقال:" ولكنّ الذي عنينا من بين ذلك الاتّجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشّامل، وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتّجاهات كبرى: الإخوان المسلمين، الجماعة الإسلاميّة بباكستان وحركة الإمام الخميني في إيران "(29)، وهو يقصد بإمامة الخميني للمسلمين قاطبة بدون منازع. كما وصفه أيضًا بـ" الإمام " في ذلك النّصّ وفي كلّ كتاباته تقريبا، ففي الصّفحة الرّابعة من كتابه " الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة " يُهدي الغنّوشي كتابه ذاك " إلى قائد الثّورة الإسلاميّة المعاصرة الإمام الخميني، كما أهداه أيضا إلى " الشّهيد " العلاّمة الصّدر و" الشّهيد "علي شريعتي، هكذا هم شهداء عنده، كما وصفه في مجلة المعرفة ـ أعلاه ـ بـ" روح الله " و" العالم المتبحّر في الفقه والأصول والفلسفة وعلم الفلك و المُجدّد.

لقد ضيّع الغنّوشي من عمره الخمسين سنة وهو يلهث مؤيّدا إيران وأذنابها في لبنان والعراق في مؤتمرات التّقريب بين الشّيعة والسّنّة والوحدة الإسلامية دون فائدة تذكر إلاّ أن بسط الأرض ومهّدها لإيران أن تخترق تونس التي صحّرها بورقيبة فصارت مستباحة غير مُحصّنة بعقيدة تواجه البدع ورموزها وأنظمتها.

من أبرز تدليسات الغنّوشي وأخطرها التي أُشْربها من الشيعة:

-1 جعل مسائل العقيدة من الخلافات الجزئيّة، بل هي كما كتب: " العقيدة في العمل السّياسي صخرة تتحطّم عليها آمال الشّعب التّونسيّ في الحرّيّة والانعتاق "(30). والمصيبة أنه لا ينظر أن إيران وأذنابها الشيعة هم خطر عقائدي وعنصري، والمدهش أنه لا يزال يعتبر إيران نموذجا إسلاميا متفوقا بالرغم من أن ايران أقصت الإخوان في العراق وساهمت في وأدهم في الشام كما ساهمت في إسقاط حكم الإخوان في مصر واليمن فضلا عن طالبان في أفغانستان.

2 - ليس من منهج الغنّوشي أن يُصارع الشّيوعيّين والملحدين، ولكنّه خُلق لمخاصمتهم على السّلطة فحسب، فإذا كان منهجه مع المُلحدين فكيف يخاصم الفرس الرّافضة وهم عنده أحسن من فهم الإسلام؟

-3 يقرر الغنّوشي أنّ الخلاف بين السّنّة والشّيعة ما هو إلا خلاف وهمي، ذكر ذلك في مقال له فكتب:" الصّراع بين السّنّة والشّيعة من المشكلات الوهميّة التي تظهر مع سيادة التّقليد ويُستعاض بها عن المشاكل الحقيقيّة الواقعيّة بعد أن تختفي الفكر ويختفي الإبداع "(31).

4 - كما اعتبر الأستاذ أكثر من مرة أن الاستمرار في استحضار الخلاف التاريخي والنفخ فيه جزء من مؤامرة لخدمة أعداء الأمة تضرب الإسلام بالإسلام

5 - كتب سنة 2009؛" إن اتخاذ إيران عدوا هو قرار غير مسئول وغير حكيم " أما عملية تشييع إيران الواسعة الممنهجة في المنطقة فقد بررها بأنها تبشير لمذهب في جمهور مذهب آخر وشبه ذلك بإخراج مسلم من غرفة يقيم فيها داخل دار الاسلام إلى غرفة أخرى في الدار نفسها وأن ذلك فقط مضيعة للوقت والجهد.

6 - وفي الوقت الذي يضحك فيه الشّيعة على الإخوان المسلمين ويضعون الخطط الخمسينيّة والعشرينيّة لذبح الأمّة، وفي نفس الوقت لم يُسمح فيه للسّنّة ببناء مسجد في طهران، بل هدّمت مساجد السّنّة وفي الوقت الذي يذبح فيه الشيعة السنة في لبنان والعراق وسوريا واليمن يغرّد الغنّوشي؛" نحن لسنا مع إثارة حملة ضد التشيع عموما، ولا ضد حزب الله، ويجب أن يحصر الخلاف في قضايا محدودة، ولا يجب أن يتوسع؛ لتصبح حربا مفتوحة بين السنة والشيعة لا يستفيد منها غير المتربصين بالفريقين " (32).

7 - الخلاف بين السّنّة والشّيعة " لا يمثّل مشكلة "، صرّح بذلك في حلقة نقاش بعنوان " أزمة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ الإسلام / الدّيمقراطيّة والتّطرّف " جرت في معهد الولايات المتّحدة للسّلام بواشنطن، وهو معهد مُموَّل من الكونجرس الأمريكي، فقال إنّ الخلاف بين السّنّة والشّيعة" لا يمثّل مشكلة "! صرّح الغنّوشي بذلك في وضع عصيب يعيشه السنّة اليمنيّون باستيلاء الحوثيّين على اليمن واستحلال أنفس وأعراض وأموال ومساجد السّنّة. فأغضب تصريح الغنّوشي أهل السّنّة في العالم، فتدخّل شيخه يوسف القرضاوي ودعاه أن يتراجع عن تلك التّصريحات حتّى تتوقّف الهجومات على جماعة الإخوان المسلمين واتّهامها بأنّها تنشر التّشيّع في الوطن العربي.

هكذا بكلّ بساطة الخلاف بين السّنّة والشّيعة " لا يمثّل مشكلة "، لا مشكلة عقائديّة ولا سياسيّة ! فمتى تكون عنده مشكلة والشّيعة يكفّرون الصّحابة و أمّهات المؤمنين و يطعنون في عرض النّبيّ وزوجاته، هذا فضلا عن كفريّات أخرى لا تُحصى كقولهم بتحريف القرآن الكريم و إضفاء صفات الألوهيّة على أيمّتهم الإثنى عشر وغيرها.

أليست أقوال الغنوشي الطّائشة تُمهّد الطّريق للرّافضة بالتّواجد في تونس بكلّ يسر وسلاسة للفقر الديني الذي عليه شباب الحركة الإسلامية؟

إن أقواله وكتاباته ومواقفه لا تدعو إلى نصرة إيران كـ" ثورة " فحسب، بل هي دعوة إلى دين الشّيعة الباطل، وقد بينت لك تماهيه في أقوال الشيعة المخالفة لعقائد أهل السنة، فيكون الغنوشي ممن أنبتت التّشيع في تونس. ولقد حكم الغنّوشي تونس بعد ما يُسمى ثورة، وفتح للشّيعة مساحات كبيرة للنشاط ونفّذ سياسة إيران الصّفويّة مما يؤكد أن الغنوشي ما هو إلا حليف لإيران علم ذلك أم جهل، تماما كما مهّد كل الإخوان في بلاد المسلمين ابتداء من فتحي يكن في لبنان. ولستُ بحاجة إلى جمع أقوال ومواقف كلّ قيادات الإخوان ومرشديهم ابتداء من حسن البنّا إلى خالد مشعل الذي زار قبر الخميني ووضع ـ على عادة اليهود والنّصارى والمجوس ـ إكليلاً من الزّهور على قبر الهالك الخميني ثمّ صرّح لوكالة الأنباء الإيرانيّة " مهر "؛ " إنّ حماس الابن الرّوحي للخميني "، أمّا أسامة حمدان فيقول؛" إنّ حركته جزء من المشروع الإيراني ولن تتأثّر بما يدور في سوريا ".

إنّ الإخوان المسلمين هم من يتزّعم كبر إثم عقيدة التّقريب بين السّنّة والشّيعة، ويتفاخرون بتلك العقيدة المنحرفة ويعتبرونها أصلا من أصولهم ومكسبا من مكاسبهم، وهم بذلك مهّدوا ولا يزالون لغرس نبتة الشّيعة الخبيثة، و أدمنوا على قرقرات أنّ " الشّيعة إخواننا وأنّ الخلاف بيننا و بينهم في الفرعيّات لا في الأصول و أنّ الخلاف بين السّنّي والشّيعيّ كالخلاف بين أتباع المذاهب الأربعة ". ولو تتبعتَ أقوال كبار قادة الإخوان المسلمين لتقرّر عندك أنّ هناك علاقة وثيقة وقويّة بينهم وبين إيران، بل لتقرّر عندك أنّ الاخوان هم بوّابة التّشيّع والشّيعة في العالم الاسلامي، وعندما تصدر حقيقة مُدوّية من كمال الهلباوي وهو شخص في موقع متقدّم جدّا ومن أبرز روّاد التّقريب مع إيران فيقول؛" الإخوان مع إيران قلبا وقالبا ". والمتأمّل في سرّ موالاة الإخوان للشّيعة فسيجده في سببين؛ أوّلهما سياسي ويتمثّل في رغبة الإخوان في حليف يدعمهم للوصول إلى الحكم، وثانيهما ذوقي، لأنّ إمامهم حسن البنّا هو صوفي حصافي شاذلي والصّوفية هي من أقرب أهل البدع إلى الرّافضة، ولذلك قيل؛ الصّوفيّة جسر للتّشيّع. ولذلك حذر الشيخ يوسف القرضاوي من " اتخاذ الشيعة للتصوف قنطرة لنشر التشيع في مصر ضمن مخطط مدروس ومستمر "(33).

إنّ شهوة السّلطة قد غطّت عين الغنّوشي فما عاد يبصر إلاّ من خلالها فقصر عقله عن إدراك حقيقة أمر الشّيعة وأهدافهم التوسعية. ولذلك حرص الأستاذ بعد عودته إلى تونس على علاقات ودّ وصداقة مع الايرانيين وأذنابهم من العراقيين وغيرهم، فكان من أكثر الناس تبادلا للزيارات مع السفير الإيراني في تونس وكلما احتفل الغنوشي بأي مناسبة لحزبه إلا ويحرص على دعوة ممثلي إيران ليحتفلوا معه المرّات العديدة في مقرّ حزبه، دون أن يبالي أبدا بمآسي المسلمين في الشام أو العراق أو اليمن أو يكترث بتنبيهات أرسلها له إخوة سوريون. و لستُ أدري بأيّ صفة يُقابل الغنّوشي المسئولين السّياسيّين الشّيعة الذين يزورون تونس دون أن تكون له صفة سياسية رسميّة ؟ فما الذي يدعو الغنّوشي أن يستقبل وزير الخارجيّة العراقيّة في مقره وقد قتلت حكومة الأخير تونسيّين تحت حكم احتلال أمريكي إيراني؟ فهل استقبله ليُهنئ إيران على إبادة العراقيين والسوريين واليمنيين وتهجيرهم واغتصاب حرائرنا هناك؟ هل يستقبلهم ليمتدح إيران التي تُدير حربا قذرة وترتكب أفظع الجرائم وأبشع المذابح ضدّ السّنّة في المنطقة؟ أم يستقبلهم استجابة لاستغاثة الثّكالى واليتامى والقتلى والجرحى والمغتصبات والمسجونين؟ ثم يُرسل وفودا من حزبه إلى طهران ليشكروا الإيرانيين على هدم آخر مسجد للسنة واحتلال الأحواز؟ كما وافق حزبه على زيارة الإيرانيّين إلى تونس كسائحين ثمّ يُهرول إلى سفارة إيران ضمن وفد له كلّ سنة لتهنئة إيران بذكرى ثورتها الشيعيّة، ويقول؛" نتطلّع لمزيد من العلاقات "! ومن هنا تفهم غموض موقفه و موقف حركته من التصويت الأخير لوزراء الداخلية العرب يوم 2 مارس/آذار 2016 على تصنيف حزب الله اللبناني تنظيما إرهابيا. ولقد حاول الغنّوشي أن يكون فيه موقفه من المسألة متوازنا، ولكنّه لم يفلح إذ لم يستطع أن يوازن بين حزب الله في حرب تموز ضدّ إسرائيلي، وبين حزب الله الإرهابي في لبنان وخاصة في سوريا، وكأنّ حزب الله عنده قد انتصر على الكيان الصّهيوني والحال أنّ حسن نصر الله صرّح أنّه لم يكن يعلم أنّ اختطاف عَسْكَرِيَّيْن إسرائيليّين سيكون سببا في تلك الحرب التي دمّرت لبنان وجعلتها رُكاما، بمعنى أنّه لو علم أنّ الحرب ستقوم بينهما ما كان له أن يُقدم على اختطاف العَسْكَرِيَّيْن. إنّ " إسرائيل " هي التي انتصرت في تلك الحرب وليس حزب الله أبدا، فقد حمت " إسرائيل " نفسها وأمّنت حدودها بسياج دولي عبر

قوّات " اليونيفيل "، لتقطع الطّريق أمام المقاومة الفلسطينيّة، ثمّ لم تنته تلك المعارك حتّى تعهّد حزب الله أن لا يبدأ بضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة أبدا.

علاقات الغنّوشي القوية بالشّيعة:

-1 في شبابه خلال إقامته بباريس (1969/1968) كان الغنّوشي يفتخر بعضويّة فاعلة في جمعيّة طلاّبيّة يُشرف عليها شيعيّ إيرانيّ وكان الغنّوشي يُعين الإيراني في ترجمة خطب الخميني من الفرنسيّة إلى العربيّة ، والغريب أنّ الغنّوشي يعترف أنّه هو ومن معه من السّنّة آختاروا هذا الإيراني رئيسا لهم ثمّ يفتخر كاتبا:" وإنّ ممّا يلفت النّظر أنّ ذلك الطّالب الإيراني الذي اخترناه لرئاسة جمعيّة الطّلبة المسلمين بفرنسا كان الإيرانيّ الوحيد، وكان شديد التّديّن على المذهب الجعفري، وما اعترض أحد على تشيّعه أو أثار هذا الموضوع جدلاً أو شكّل عائقاً أو مصدر حرج لاختياره لموقع الرّئاسة في جمعيّة كلّ أعضائها سنّيّون شدّهم إليه تديّنه وكفاءته "(34).

-2 تعانق الغنوشي مع إيران في فتح أبواب تونس للتّشييع منذ سنة 1979 على الرّغم من تحذيرات بعض مشايخ تونس مثل عبد القادر سلامة من مخاطر الشّيعة، والتي تحقّقت الآن في بلدنا.

3 - تعزّز ذلك التّعانق وصار له رصيد كبير من العلاقات مع الشّيعة خاصّة بتواجده في لندن حيث مقرّ تواجدهم قبل خياناتهم بعد إسقاط صدّام حسين. كان كلّ الشّيعة العراقيّين المقيمين في لندن والذين حكموا العراق بعد غزوها سنة 2003 أصدقاء له، وتواصلت تلك العلاقات الحميمة بينه وبينهم رغم أنّهم دخلوا بدبّابة أمريكيّة واستهدفوا أهل السّنّة، حتّى أنّه لمّا ألقت ميليشيّات نوري المالكي على الشّاب التّونسيّ يسري الطّريقي -المُتّهم بتفجير مراقد شيعيّة اتّصل الغنوشي -وبآعتراف منه -بالطّاغية المالكي لإطلاق سراح الشّابّ، فوعده المالكي بإعادة دراسة ملفّ القضيّة، ولكنّه لم يفعل حيثُ وقع إعدام يسري الطّريقي في شهر نوفمبر2011.

المعضلات الغنّوشية هي نفسها معضلات أئمّة الشّيعة:

1 - فساد العقيدة: لأنّ الغنّوشي ليس من أهدافه نصرة الإسلام -ولو آدّعى ذلك -وإنّما هدفه الحقيقيّ هو السّلطة، ولذلك فقد صرّح بكلّ وقاحة أنّ مسائل العقيدة من الخلافات الجزئيّة وأن " العقيدة في العمل السّياسي صخرة تتحطّم عليها آمال الشّعب التّونسيّ في الحرّيّة والانعتاق "(35)، ولذلك يرى أنّ العلماني هو أقرب إليه من السّلفي والتّحريري والتّبليغي لأنّ العلماني غير عقائديّ في حين أنّ الإسلاميّين يعطّلون مسيرة الإصلاح الدّيمقراطيّ بطرحهم مسائل العقيدة من مثل مسائل الولاء والبراء.

ليس من انشغالات الغنوشي أبدا ولا من أولويّاته مطلقا البحث عن مسائل العقيدة أو محاربة أعداء العقيدة، لأنّها لم يُخلق كما صرح لمقاومة الشيوعية كما صرح:" لقد تغيّرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أنّ الله لم يخلقنا لنقاوم الشّيوعيّة "(36)، ويقول:" إنّ الصّراع في تونس ليس بين حداثة ورجعيّة ولا بين عقل ودين بقدر ما هو بين أقلّيّة متسلّطة مدعومة من الخارج وبين شعب يطمح إلى التّحرّر وامتلاك دولته ومصيره"(37). وقال:"

الصّراع في تونس ليس بين الإسلاميّين والعلمانيّين..."(38). وقال:" ... فإذا اختار مجتمعنا أن يكون يوما ملحدا أو شيوعيّا فماذا نملك نحن ؟؟؟ "(39).

والعقيدة عنده ليست هي جوهر الصّراع في تونس فيقول:" مطلوب مزيد من الحوار والتّلاقي والبحث عن المشترك والإعراض عن الخلافات الجزئيّة أو الّتي لا تمسّ جوهر مشكل البلاد اليوم ألا وهو الاستبداد والفساد فإليه وحده يجب أن تتّجه كلّ جهود التّغيير"(40).

إن العقيدة عند الغنّوشي تحطّم رغبته الوصول للسلطة، ولذلك لا تعجب من أقواله تلك، كما لا تعجب أن قَاتَلَ صديقُه في العراق الإخواني طارق الهاشمي رئيس الحزب الإسلامي العراقي جنبا إلى جنب مع بريمر ثمّ مع الصّحوات ثمّ مع الحشد الشّيعي. كما لا تعجب أيضا إبقاءه على التّرخيص الذي مكّنه الطّاغية ابن علي للشّيعة في تونس، في حين يمنع التّرخيص لمشايخ السلفية، كما لا تستغرب صمته الرّهيب إذا طعن علمانيّو تونس في السّنّة وفي أبي بكر وعمر وعثمان، بل رأينا قيادات حزب النّهضة يُوادّونهم فيعودون مريضا يسخر من الإسلام ويُهدونه باقة ورود، كما فعل عبد الفتّاح مورو وسمير ديلو مع الشّاعر أولاد أحمد الذي هددهم بالقتل والسحل إن لم يسلموا السلطة للانقلابيين، أو يُهاتفونهم إذا مرضوا، وهو ما فعله الغنّوشي مع الرويبضة محمّد الطّالبي الذي أُنكر عصمة النّبي ونزول الوحي عليه، واتّهم الرّسول بشرب الخمر وقال ـ لعنه الله ـ عبر قناة تلفزية وعلى المباشر: إنّ عائشة ـ وحاشاها ـ " كحبة " كتبتُ الكاف بدل القاف، وطعن في الصّحابة وخاصّة الخلفاء الأربعة منهم واتّهمهم باغتصاب الخلافة ونهب أموال الدّولة، ووصف عمر بن الخطّاب بالدّكتاتور، كما اتّهم عثمان بأنّه أوّل من كفّر المسلمين وأباح الخمر وأحلّ البِغاء، وأنكر الصّلاة والسّنّة وفرضيّة الحجاب والصّلاة على رسول الله و مصطلح الشّريعة في القرآن، ونفى حرق الله الكفار بالنّار.

2 - الضّحالة الفكريّة التي جعلت الغنّوشي يتنقل بين الأشخاص؛ ولذلك قلبت " ثورة " الخميني كيانه وزلزلت قناعاته السلفية فقال:" لقد تغيّرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أنّ اللّه لم يخلقنا لنقاوم الشّيوعيّة "(41)، ومن ثم لا تعجب أن تجده كل يوم مع رجل فيوم مع جمال عبد النّاصر ويوم آخر مع الألباني ويوم ثالث مع حسن البنّا ويوم رابع مع سيّد قطب ويوم خامس مع مالك بن نبيّ ويوم سادس مع المودودي وسابع مع حسن التّرابي ويوم سابع مع الخميني ثمّ مع عبّاسي مدني ثمّ مع صدّام حسين ثمّ أردوغان ثمّ ناصري كما صرح بذلك عندما زار القاهرة بعد حكم الإخوان في إحدى تلك المؤتمرات قال:" أنا أعتبر نفسي ناصريا "(42). ثم حلّ ركبه الآن مع الباجي قايد السبسي وهكذا دواليك. إن تنقلاته هذه بين الرجال تكشف عن حقيقتين: أولاهما ضحالة وخفة فكر الرجل وشدة تعلقه بأي " زعيم " يوصله إلى السلطة، وإليك ما سطره هو بنفسه ما يكشف ذلك:" لقد جاءت الثورة الخمينية في وقت مهم جداً بالنسبة إلينا، إذ كنا بصدد التمرد على الفكر الإسلامي التقليدي الوافد من المشرق. فجاءت الثورة الإيرانية لتعطينا بعض المقولات الإسلامية التي مكنتنا من أسلمة بعض المفاهيم الاجتماعية اليسارية.. فلما جاءت الثورة الخمينية علمتنا درساً آخر من الكتاب العزيز لخّصته هذه الآية من سورة القصص" وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ "(43)، وجدنا فيها الحل وكأننا نقرأها لأول مرة.. شعرنا كما لو أن الفكر الإسلامي من قبل لم يقرأ هذه الآية، وكأنما هي كشف خميني. من هنا اشتد حماسنا للثورة الإيرانية وأصبحت وسائل إعلامنا تنشر صور الخميني، ودروسنا أصبح فيها نفس جديد "(44). إن خطاب الغنوشي يكشف عن

حقيقة مؤلمة وهي الرخاوة الفكرية التي كان عليها الغنوشي والكثير من قيادات الحركة الإسلامية وخاصة الطلبة الذين أقبلوا على كتب الشيعة من مثل مرتضى مطهري و الصدر وعلي شـريعيتي، فنهلوا منها البدع الشـيعية التي حرفتهم بعيدا عن أصول وثوابت أهل السـنة والجماعة، ولذا وجدنا الغنوشي يُقرر في أكثر من موضع أن أدبيات ايران هي الملهمة لطلبة الاتجاه الاسلامي في الجامعة.

3 - الطّغيان السّياسي: يكاد يكون وحده الذي يقرّر في الحركة ابتداء أو انتهاء بمعنى أنّ الكلمة الأخيرة هي له، لأنه كبّل جماعته ببيعة شرعيّة تُحرّره من إلزاميّة الشّورى، ولذلك ليس له أيّ حرج ولا وخز ضمير في أن يُخالف المؤسّسات ويستخفّ بها.

4 - احتفاظه بمصادر ثروة الحركة وعدم تداولها في أهمّ مؤسّسـات القرار لا مؤتمر ولا مجلس شـورى تماما كما يفعل أئمّة الشّـيعة في الاستيلاء على خمس ثروات الشّيعة حتّى صاروا من أبرز أثرياء العالم.

5 - الزّعامـة والهالـة والأبّهة والمرجعيّة الفكريّة والوحيدة التي حضي بها الغنوشـي بين أتباعه، فهو يتمتـع بصلاحيات مطلقة حيث بلغ رتبة " ولاية الفقيه "، باعتبار أن مُريديه ملزمون دينيا بقيادة الولي الفقيه صاحب السلطة العليا، وهي نفس عقيدة إيران.

ترنّح الغنّوشي في مواقفه من الشّيعة:

لا نُنكر أن الغنّوشي انتقد في مرات قليلة إيران وسياساتها في المنطقة، ولكن تغيّر موقفه في نقده الشّاذّ والنّاعم لا تُحدده العقيدة ومصلحة الأمة، بل هو يخضع لمصلحته الشّخصيّة وبوصلته الإخوانية السّياسيّة، وتجد هذا في مناسبات قليلة جدّا لا تُحسبُ أمام مواقفه الأصليّة المُساندة لإيران. ومن المواقف القليلة التي وقف فيها ضدّ الشّيعة لهذه الأسباب:

أولا: المصلحة السياسـية: ويُثبتُ الغنوشـي حقيقة أن حماسته المفرطة للثورة الإيرانية لم تُرض إيران، التي لا ترضى بالتأييد فحسب بل هل تُطالب بالتبعية الكاملة للولي الفقيه، فكتب مُسـتغربا:" وما أن أسـفر هذا التوجه الديمقراطي للحركة عن نفسـه حتى انتقدنا الإيرانيون بعد أن كانوا قد استبشـروا بتأييدنا العارم لهم، فشـنت بعض دورياتهم مثل دورية " الحرس الثوري" علينا هجوماً إذ رأوا في هذه الأبعاد الديمقراطية " تأثرا بالقيم الغربية الزائفة "، فرددنا بأننا وإن كنا نعتبر الثورة الإيرانية ثورة عظيمة ونساندها ولكننا لا نعتبرها نموذجاً "(45).

ثانيـا: ورغم الخدمات العظيمة التي قدمها الغنوشـي لإيران فإنه ما إن غادر تونس إلى المنفى واسـتطاع ابن علـي أن يقضي على حركة النهضة حتى أرجع النظام الإيراني علاقاته مع ابن علي وتغزل الإيرانيون باسـم المخلوع أنه مسـلم ينتمي إلى آل البيت أليس اسـمه زين العابدين بن علي، وسـاهمت قناة المنار بشـكل سافر في تبييض نظام ابن علي الفاسد. قال الغنوشـي:" إنّ جهات شيعية استغلت محنة الحركة الإسلامية في تونس لنشر التشـيع." (46). كما صرّح أيضا في بداية الثّورة أنّ:" المذهب الشّـيعي في تونس فتنة "(47). ولا يمكن أن نعلق على هذه الأقوال إلا بقولنا: لا يُعذر من علِم، وللمرء أن يتساءل على هذه التصريحات: لماذا تتغير موقف الغنّوشي؟ هل يدرك أنّ الشّيعة هم خطر حقيقيّ على الإسلام وعلى المسلمين وبأنّهم مشروع فتنة واحتلال؟ فإن كان يدرك ذلك فلماذا يُجاري إيران ويتعامل معها؟

ثالثا: عندما رفضت إيران اسـتقبال الغنوشـي سـنة 2007 اهتز موقفه فرد على إيران بشـكل متوتر، فقال في " قدس برس ": هذا موقف انتهازي وغيـر مبدئـي، ويعطي الأولويـة لعلاقة مع نظام ديكتاتـوري ... الرهان على نظام ديكتاتوري هـو انتهازية، وموقف متحيز يقـدم غطاء للمحاولات الإيرانية لنشر التشيع في تونس. وهو بهذا المعنى رشوة يقدمها النظام الإيراني للنظام التونسي مقابل نشر الفكر الإيراني"، وتحدث الغنوشي على أن هناك تقاربا غير طبيعي بين النظامين الإيراني والتونسـي، كما أن هناك بعض الرموز المحسـوبة على التيار الشيعي في تونس تقوم بزيارات منتظمة إلى طهران، إلى جانب ذلك هناك تأكيدات بأن النظام التونسـي يسـمح بدخول العديد من الكتب الشـيعية إلى البلاد، لا سيما في إطار معارض الكتاب، بينما يحظر كل الكتابات التي تحسب على تيار الاعتدال الإسلامي مثل كتب الشيخ يوسف القرضاوي أو محمد الغزالي أو غيرها "(48).

رابعا: مُسـاندته المُثيرة لشـيخه يوسف القرضاوي في مقال كتبه أثناء أزمة عابرة بين الإخوان والشّيعة تحت عنوان " كلّنا يوسف القرضاوي"(49)، تعصّب فيه لشيخه القرضاوي ما لم يغضب عُشُره لعائشة وعثمان فضلا عن مُعاوية، فحاول أن يُفنّد في مقاله الاتهامات التي وجهتها إحدى الوكالات الإيرانية لشـيخه " إمام الوسـطية " فقال:" لقد اشتد غضبي على مقالة سفيهة سـافلة صدرت عن وكالة أنباء إيرانية تجرأت على شيخ الأمة ورأسها، رمته بأوصاف نذلة من صهيونية وماسونية ... رددتها بما يستحق صاحبها..."(50). إن غضب الغنوشي الشديد ودفاعه المستميت على القرضاوي يفضح ضحالة عقيدته وتعصبه الحزبي فلماذا يُفجر هذه الألغام ويُخرج مخزونه العدائي دفاعا عن القرضاوي ويصمتُ عن تهجمات الشيعة للصحابة فضلا عن صمته عن جرائم إيران في المنطقة.

ماذا حقق الغنوشي للإسلام وللتونسيين بعد نصف قرن من حوار مع الشيعة؟

لا تجد إخوانيا بمثل راشد الغنوشي قد ساند إيران بحماسة منقطعة النظير تعلقا وتبشيرا بشعاراتها ورموزها تطورت بعد ذلك إلى علاقة طويلة وقناعات مشـتركة بينه وبين الشـيعة، وقد عمل عملا مسـتمرا وكتب كتابات متواصلة في تلميع إيران وسياساتها، ورغم كل ذلك، فإن إيران أبت إلا أن ترد علاقاتها مع الدكتاتور ابن علي سنة 1990 لتستغل فراغ الساحة التونسية من الحركة الإسلامية لتنشر عقيدة الرفض المرفوضة، ثم تمنع إيران الغنوشي و محمد سليم العوا ومنير شفيق من دخول إيران في شهر كانون الثاني (يناير) 2007.

وإن أنسـى فلا أنسـى تذلل الغنوشـي وصغاره أمام حسـن نصر الله في اتصال هاتفي في برنامج تلفزي على قناة الجزيرة يقدمه غسـان بن جدو المتشيع، فما كان من نصر الله إلا أن احتقره ولم يكترث به!!!

أسباب تنامي التّشيّع في تونس:

لا ننكر أن أسـبابا أخرى سـاهمت في نشر التشـيع في تونس زيادة على جهود الغنوشي التي انطلقت منذ 1979 وفي زمن لم يكن في تونس شيعي واحد، خاصة وأن العلاقات السياسية بين تونس وإيران قُطعت منذ 1981 بسبب غلو ولاء الغنوشي للخميني وإيران، ولسبب العثور على تحويلات أموال من سفارة إيران بروما لقيادي من حزب النهضة في باريس.

وهذه أبرز الأسباب الأخرى التي أعانت على نشر التشيع في تونس:

1 - استغلت إيران طحن ابن علي للحركة الإسلامية وتصفية التدين في تونس لتحسن علاقاتها معه لتخترق الساحة السنية في البلاد. فوثقت علاقاتها بالنظام التونسي على كل المستويات من تعاون سياسي وثقافي خاصة، ففسح المجال أمام الدعوة الشيعية، ورخص لهم ولأول مرة في تاريخ تونس الحديث بتأسيس أول جمعية شيعية في شهر أكتوبر 2003 وهي " جمعية أهل البيت الثقافية " وقد طرحت على نفسها " المساهمة في إحياء مدرسة آل البيت ونشر ثقافتهم "، كما أذن الدكتاتور ابن علي بتوزيع الكتاب الشيعي هذا فضلا عن الاتصال المفتوح والمكثف بين رموز التشيع وإيران، كما وافق الدكتاتور على التحاق طلبة تونسيين بجامعات ومراكز شيعية في إيران. فالحاصل أن التشيع وجد في تونس في عهد المخلوع مجالا للنشاط دون أية مضايقة أو اعتراض بل وجد تشجيعا ودفعا له.

2 - ما قامت وتقوم به البعثات الثّقافيّة الإيرانيّة من خلال سفارتها في تونس من اختراقات لوحدة البناء السّنّي وإرساء فتنة التّفريق بين المُكوّن المذهبي وذلك عبر نشر لمطبوعات تُشكّك وتنال من عقائد السّنّة وتُؤسّس لعقائدها الفاسدة. مثل الطّعن في الصّحابة ....

3 - الدور الكبير الذي لعبه جماعة " الإسلاميون التقدميون " ومن أبرزهم إحميدة النيفر وصلاح الدين الجورشي في نشر كتب مرتضى مطهري وعلي شريعتي وباقر الصدر في مجلتهم 21/15 ومكتبتهم المُسماة " الجديد ".

4 - مزايدة الغنوشي على " الإسلاميين التقدميين " الذين بدؤوا منذ سنة 1978 يمثلون مشكلة ربما يكونون المزاحم الخطير والمنافس الأبرز الذين سيختطفون الساحة الإسلامية والشباب الهائج الذي تماهى مع " الثورة " الإيرانية وشعاراتها البراقة، فراح الغنوشي يُزايد عليهم في مواقفه خطاباته وكتاباته.

5 - الأثر الكبير الذي تمتع به حزب الله بسبب ما يُروج ما قام به من عمل " بطولي " ضد المحتل اليهودي.

6 - تأثير القنوات الشيعية في التونسيين ومن أبرزها قناة " المنار " الفضائية حزب الله اللبناني.

ولكن أيضا نُثبتُ أنّ الغنّوشي كان ولا يزال السبب الأبرز وراء اختراق وخرق ونقض الوحدة الدّينيّة في تونس واستهدافها عن طريق الجهود المنظّمة لنشر التّشيّع في بلدنا خاصّة وفي بلاد العالم عامّة منذ سنة 1979، وهو الذي يعترف أنه لم يكن شيعة في تونس قبل ذلك التاريخ، فمن الذي غرس التشيع في تونس دونه في تلك الفترة؟ يقول الغنوشي: " أما بالنسبة لما جذبنا في الثورة الإيرانية، فنظراً لعدم وجود شيعة في تونس تعاملنا مع الثورة على أنها ثورة إسلامية " (51). وقد غرس الغنّوشي نبتة التّشيّع في تونس ومهّد لها من خلال دروسه العامّة وكتاباته بعد ثورة الفرس التي أشرتُ إلى بعضها في مجلة المعرفة خاصة. ولأنه أيضًا دخل في منافسة ومُزايدة مع " الإسلاميين التقدميين " الذين ساهموا في نشر كتب الشيعة وأفكارهم عبر مجلتهم 21/15 ومكتبتهم المُسماة " الجديد ". ولذلك تأثر الكثير من أبناء الحركة الإسلامية منذ 1979 تاريخ " ثورة " الخميني، فكان تراب الزمزمي والتيجاني السماوي ومبارك بعداش من أبرز الذين تأثّروا بذلك، فتشيّعوا وشيعوا كثيرا من أهل الجنوب خاصة بعد استقالتهم من حركة الغنّوشي في بداية الثّمانينات من القرن الماضي وصاروا " زعماء " شيعة، وخاصة الأخير منهم بعدما كان المسؤول التّنظيميّ لحركة الاتّجاه الإسلامي، (النّهضة حاليّا) على كامل جهات الجنوب التّونسي، ووالله لقد تمدّد التّأثّر بالشّيعة في عبادات النّهضويّين حيث صار بعض قياداتهم الجامعيّة في تلك الفترة أن يتصنّعوا النّواح في أدعيتهم تشبّها بما يفعل الشّيعة تماما، وأحد هؤلاء هو موجودة في حكومة الصيد حاليا.

والسؤال الجوهري الذي ينبغي أن يُطرح ما الذي يأسر الغنّوشي وحزبه في الدّوران حول ولاية الفقيه الفارسيّة ويتآمران على تونس السّنّيّة وعروبتها وتراثها وتاريخها ويتركان الشّيعة يخترقون كل مؤسسات الدولة يرتعون في كامل البلاد يُشيّعون شعبنا ويصمتون عن تحطيم عقائدنا، بل نراهم يُهاجمون كلّ من يقوم بواجبه الشّرعي في تعرية المدّ الشّيعي وكشفه! فهل هؤلاء يهمّهم الإسلام؟

ما الذي يجعل الغنّوشي يساند المشروع الفارسي وينشر " محاسن الثّورة " الإيرانيّة في البلاد العربيّة والاسلاميّة؟ ولماذا " يلتصق" الغنوشي بإيران وكأنه حليف أبدي للشيعة؟ هل ثمة أمر ما يجعله مُكبلا بتلك العلاقة لا يستطيع أن ينفك عنه؟ أسئلة مشروعة لأمر مُحير.

السبب الأبرز في ركوب الغنوشي موجة الثورة الإيرانية؛ إن ما يُسمى الثورة الإسلامية التي اندلعت سنة 1979 جاءت في أحلك فترة تاريخية سياسية للغنوشي الذي كان يُواجه إعصارا تنظيميا داخل " الجماعة الإسلامية " العقائدية المنغلقة على الولاء للسلفية فكرا والإخوان المسلمين تنظيما " النهضة حاليا " حيث تمردت مجموعة " مكتب العاصمة " وطعنت في شرعيّة الغنّوشي ودعت الى الانفتاح على كل مختلف تيارات الفكر الاسلامي والعالمي والقطع مع الإخوان، وقد كانت " الجماعة الإسلامية / النهضة اليوم " - وقتها - جماعة تعمل دون قانون أساسي ودون ضبط لصلوحيات الغنّوشي " الأمير " الذي لم يُنتخب ويتصرّف كأمير المؤمنين الصّلوحيات المطلقة في تشكيل المكتب التّنفيذي والمشرفين على الجهات وأعضاء مجلس الشّورى، فما كان من الغنوشي إلاّ أن حلّ مكتب العاصمة وجمّد عضويّة المشرف عليها لأنّهم أرادوا قيادة حركة إصلاح ومراجعة وتجديد في جسم إخواني يختنق على تعبير صلاح الدّين الجورشي.

فالذي يمكن أن نُقرّره أنّ ما يُسمى الثورة الإسلامية في إيران أنقذت الغنّوشي من معضلة سياسيّة ضخمة ومن مأزق تنظيمي قاتل في تلك الفترة، فركب الموجة الإيرانيّة وسايرها وجامل الثّورة الإيرانيّة بل تبنّاها ليُشاغب ويكسّر بها شوكة " الإسلاميّين التّقدميّين " من جهة، وليشغل به الاتّجاه الإسلامي المُتكوّن من الشّباب الحماسي والعاطفي من جهة ثانية، وأيضا ليشدّ به التّيّار الطّلاّبي المغامر والمتهوّر من جهة ثالثة، وليقفز بالحدث ينجو به من مشكل تنظيمي داخلي مُهدّد من جهة رابعة، هذا فضلا عن تشغيل السّاحة الإسلاميّة بالحدث الإيراني في ظلّ فراغ مشروع غنّوشي واضح إلاّ إثبات حضور هائج وبروز مُلفت استجابة لدوافع نفسيّة واضحة حيثُ كان الغنّوشي مُتضايقا ممّا سمحت به السّاحة وقتها من تنافس قويّ وشديد بينه وبين الإسلاميّين التّقدّميّين وأيضا من الدّاعية حسن الغضباني الذي كان مُزعجا جدّا للغنّوشي حيث كان أبرز خطيب مُفوّه ومؤثّر في تلك المرحلة، وكان مريدوه في الدّروس العامّة تفوق الأضعاف ما يجتمعون حول الغنّوشي، فكان لا بدّ من المزايدة على الأطراف الإسلاميّة الأخرى في الخطاب وفي جريدة المعرفة لكسب أكثر ما يمكن من المتعاطفين ومن الجمهور ومن تشغيل ماكينة الحزب الذي يحتاج إلى شحنها بخطاب سياسي تحريضي تهريجي.

فالمقصود أنّ تعلّق الغنّوشي بإيران والذّود عنها و عن إمامها وتبنّي بعض أفكارها التي أشرتُ إليها أعلاه، لم يكن وليد دراسة أو تخطيط أو رؤية واضحة، وإنّما هو نتيجة ركوب الموجة ليحلّ بها مشاكل تنظيميّة عاصفة للجماعة وللمشاغبة على خصومه وأيضا نتيجة التّأثّر الصّبياني بشعارات الثّورة الايرانيّة دون معرفة مسبقة بالنّتائج الكارثيّة على بلد مُتميّز بوحدة عقائديّة سُنّيّة إمامها مالك بن أنس أحد أبرز أئمّة أهل السّنّة والجماعة. ولقد جنت تونس كوارث بسبب ذلك التّهوّر والحمق وها هي بلادنا اليوم قد اخترقها الشّيعة في كلّ مواقع التّأثير وخاصّة في الإعلام، ورجال الفكر والقرار.

وهكذا عندما يكون حبّ السّلطة وحلم الوصول إليها هو الهدف والمُحدّد لمسيرة أيّ شخص يستعمل كلّ وسيلة ويصير مُستعدّا للتّحالف مع من هبّ ودبّ ولو كان الشّيطان نفسه! ولقد كشفت ما يُسمّى " الثّورة " في تونس حقيقة الغنّوشي ونواياه إذ تبيّن بالمقال والحال أنّه مُستعدّ لكلّ شيء، لأنّ المهمّ عنده أن يصل إلى سدّة الحكم ويهدم الدّين ويُقاتل المُوحّدين بآسم الدّين! فما أخطره على العباد والبلاد!

خاتمة

إن من المُقرّر عند أهل السّنّة والجماعة أنّ الكلام في أهل البدع من أعظم الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ، وأنّ قول الحقّ فريضة، وأنّ تأخير البيان عند الحاجة لا يجوز، ولأن الغوغاء الجهلة عادة ما يُفتنون بالرّويبضات " المشاهير " الذين تصنعهم الكوارث، وراشد الخرّيجي شُهِر " الغنّوشي " من أبرز مشاهير الرّويبضات، وهو صاحب بدع خطيرة وضلالات عظيمة لا تُحصى ولا تُعدّ، حيث أمضى جزءا كبيرا من عمره ومن حكمه في تبديل معاني الدّين والتّصدّي للمتمسّكين بالكتاب والسّنّة ووصفهم بالمتطرّفين والمُتشدّدين بمقاييسه السّياسيّة الأمريكيّة والحزبيّة الإخوانيّة. وأنا إذ أُبين بالأدلة تأييد الغنّوشي المزمن للدّين الشّيعي من جهة و للتّقارب مع إيران الصّفويّة من جهة أخرى، فلأنّني لا أجامل ولا أداهن في ديني، ولذا فإنّه لا يهمّني سبّهم وشيطنتي لي، لأنّ كلّ الذي يهمّني هو الذّبّ عن ديني وإنقاذ تونس من كوارثه لعلّ الغافلين من أتباعه يستيقظون لكي لا تتكرّر في بلدي مآسي تحالف الإخوان مع الشّيعة الموالين لإيران التي دمّرت وخرّبت العراق وسوريا ولبنان واليمن التي لا تخفى على أحد. إنه لا بد أن نتصدى للضّرر الجليّ الذي أحدثه الشّيعة داخل الأمّة، كما لا بد أن نكشف أيضا أنّ العلاقات الحسنة التي يقيمها الإخوان المسلمون بطهران جريمة كبرى لم يستفد منها إلاّ إيران وأذنابها الذين يطعنون أهل السّنّة في الظّهر منذ سنة 1979 حيث يستغلّون تلك العلاقة لنشر التّشيّع في أهل السّنّة في البلاد العربيّة خاصّة، ولقد اخترقت إيران تونس في كلّ مؤسّساتها بما فيها مؤسّسات الدّولة كالجامعة ووزارة الشّؤون الدّينيّة والتعليم وغيرها هذا فضلا عن الإعلام وما يُسمّى النّخبة.

ومساهمة منّي في درء ذلك خطر التّشيّع المُحدق ببلادنا، وسعيا منّي في تخليص المفتونين بالغنّوشي، وتبصير أتباع الهدى بحقيقة هذا الدّاعية إلى جهنّم، فجّرتُ بين أيديهم لغما واحدا له، وهو علاقته المشبوهة بإيران. من أجل ذلك، تناولت في هذه الأسطر بابا واحدا من أبواب ضلالاته الخطيرة وهو ما يتعلّق بعلاقته بالشّيعة دينا وبالحضور الايراني السّياسي والثّقافي في تونس الذي يمثّل مصدر تهديد خطير.

هذا هو حقّ الله تعالى ثمّ حقّ أمّتي المُغرّر بها، وهو أيضا حقّ الشّباب خاصّة الذين ينبهرون بالشّعارات البرّاقة المخادعة التي أدمن عليها الذين احترفوا العمل السّياسي بالدّين. إنّها رسالة للأمّة ولشباب النّهضة أُبيّن لهم وأقيم عليهم الحُجّة، وأُظهر المحجّة، لأنّ غالب أولئك الشّباب يفتقدون إلى العلم الشّرعيّ بدليله، فلم يقدروا على تصفية كلام رجالهم بالدّليل أو وزن أعمالهم بالتّنزيل.

هذه أقوال راشد الغنّوشي وكتاباته ومواقفه حجّة لي وعليه، جمعتُها بين يديك، ونثرتُها بين عينيك، ذبّا عن الإسلام من المُدلّسين وبيانا لأهل السّنّة في العالَمين، راجيا من ربّ العالمين، أن يهديه ويفيق من أوهامه ويلتحق بشيخه يوسف القرضاوي الذي صرّح بخطئه على تضييع أكثر من أربعين سنة في تيه التّقارب مع الشيعة والتحاقه بفسطاط العقائديّين في براءتهم من الرّوافض، وأن يحشرني في زمرة المُجاهدين بالحجّة والبيان، وصلّى الله وسلّم على سيّد ولد عدنان، شفيع الإنس والجان...

المصادر

1) يوم الخميس 20 ربيع الثاني سنة 296 هـ/ 6 جانفي 909 م.
2) من كتاب من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس ص 37.
3) راشد الغنّوشي . كتاب الحركة الإسلاميّة ومسألة التّغيير ص 25.
4) من خطبة ألقاها الخميني بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي في (1400/8/15هـ).
5) الخميني. كتاب الحكومة الإسلاميّة. ص 52.
6) الغنّوشي. الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة. ص 162.
7) الخميني كتابه " كشف الأسرار" صفحة 110.
8) محمد باقر الصدر. " أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف ". ص 134.
9) نفسه. ص 101.
10) نفسه. ص 13.
11) https://www.youtube.com/watch?v=hBwZ0Iw4s6c
12) الخميني. كتاب الطهارة: 3/337.
13) الغنوشي.الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة. (ص 164).
14) https://www.youtube.com/watch?v=UudAj_frjEs

15) الخميني. الحكومة الإسلامية ص 74. وانظر كتاب: "وجاء دور المجوس". ص148

16) آنظر كتابه الحركة الإسلاميّة والتّغيير. ص 31.

17) نفسه ص 30.

18) راشد الغنوشي. نفس المرجع ص31.

19) راشد الغنوشي. نفس المرجع ص31.

20) مقالات حركة الاتجاه الإسلامي في تونس". ص 97. كتاب جمع فيه كل افتتاحياته في مجلة المعرفة.

21) من مقال له بعنوان:" نحن مع العمل المشترك ".

22) من مقال له: " الغرب والدّيمقراطيّة والإسلام ".

23) من مقال له: " العلاقة بين الشيعة العرب وإيران ".

24) في برنامج تلفزيّ في قناة الحوار التونسية اسمه " لمن يجرؤ فقط "، بُثّ يوم 2014/01/19.

25) سورة مريم (78).

26) لسان الحركة الإسلاميّة في تونس منذ 1972. تولّى الإدارة والمسئولية أمام السلطة الشّيخ عبد القادر سلامة، وتولّى رئاسة التّحرير راشد الغنّوشي.

27) الغنوشي. " الحركة الإسلامية والتحديث ". ص 17.

28) الغنوشي. " مقالات حركة الاتجاه الإسلامي في تونس ".

29) حسن التّرابي و راشد الغنّوشي كتاب " الحركة الإسلاميّة والتّحديث ". ص 16 و 17.

30) موقع تونس نيوز في 20 / 04 / 2006. وهو يتحدّث عن عوائق حركة 18 أكتوبر. ملاحظة: هذا الموقع يُشرف عليه أفراد نهضويين في المنفى غير مُعلنين عن هويتهم، وبعد ما يُسمى ثورة حجبوا ذلك الموقع بأمر من الغنوشي لآحتواء الموقع على ما يُدينه وحزبه.

31) العدد 26 مارس 1985 مجلّة الطّليعة الإسلاميّة. وهى مجلّة شهريّة تصدر في لندن.

32) http://www.turess.com/alfajrnews/9386

33) صحفية المصري اليوم (2008/9/8).

34) الغنوشي. من تجربة الحركة الإسلامية في تونس ص 37.

35) موقع تونس نيوز في 20 / 04 / 2006. وهو يتحدّث عن عوائق حركة 18 أكتوبر 2005

36) الغنوشي. من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس ص60

37) انظر صحيفة الرّاية ع 314 س 9 بتاريخ 2 05/0 / 1419 هجريّة.

38) برنامج الاتّجاه المعاكس – قناة الجزيرة – 22 /1999/10.

39) المجتمع الكويتيّة سنة 1981.

40) رسالة العيد. موقع تونس نيوز. لم أعثر على العدد والتاريخ لأن الغنوشي حجب الموقع.

41) من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس. ص60 .

42) آنظر منتدى العصر تحت عنوان سياسة 'عصابية' وعدمية تجر لبنان إلى الهاوية بتاريخ 0 3 ـ 11 ـ 2006.

43) سورة القصص 5ـ6.

44) من تجربة الحركة الإسلامية في تونس. ص 62/61.

45) من تجربة الحركة الإسلامية في تونس. ص 65/64.

46) الفجر نيوز نشر في الفجر نيوز يوم 18 – 09 – 2008.

47) http://www.turess.com/alfajrnews/9386

48) جريدة 14 جانفي 19 جويلية 2011.

49) قدس برس. 2007/01/10.

50) نفسه.

51) من تجربة الحركة الإسلامية في تونس. ص 64.

إيران والإخوان
80 عاما
من التحالفات

نوفمبر «تشرين الثاني» 2019

ضد المشروع الفارسي
للهَيمَنة والتشيُّع
www.iranpost.org